



سلسلة الدروس الثقافية

منازل الآيات





منازل الآيات

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٥/٣٢٧ . ٢٤/٥٣



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: منازل الآيات

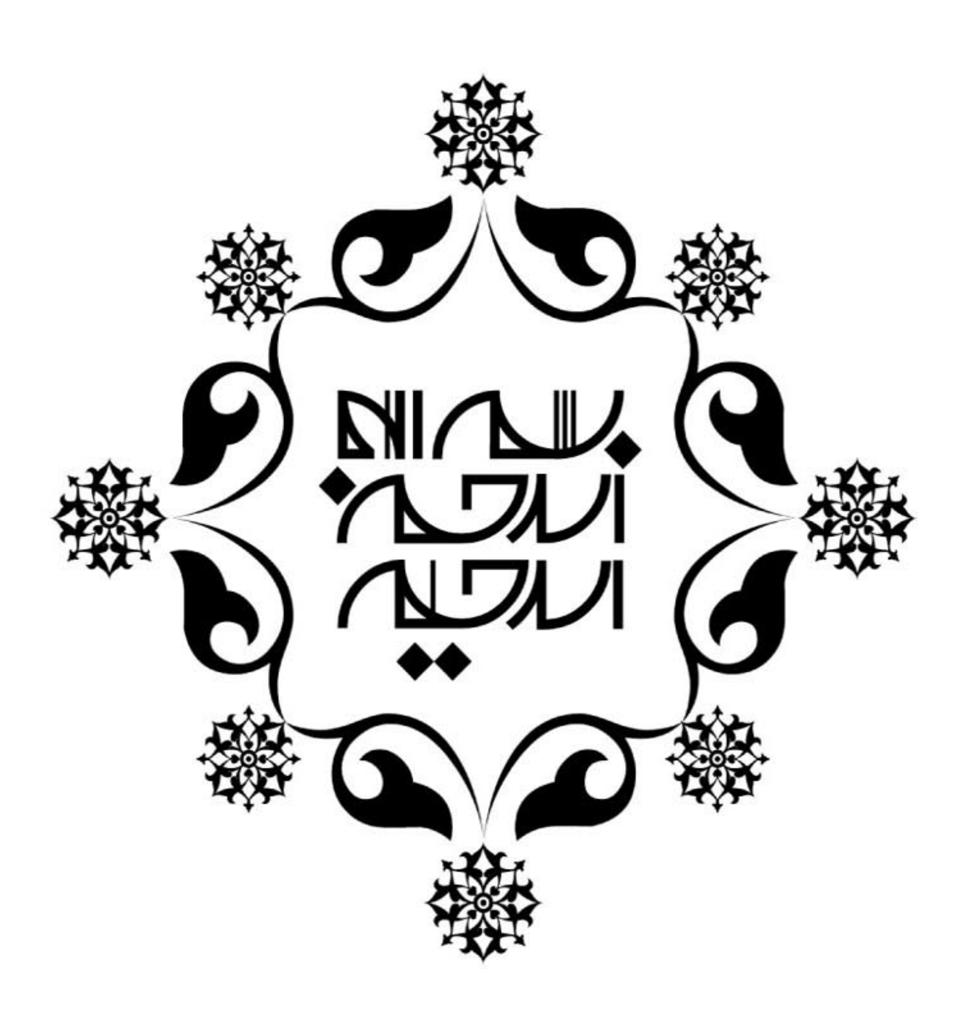
إعداد: مركز نون للتأليف و الترجمة

نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الاولى نيسان - 2009م - 1430

منازل الآيات

مركز نون للتأليف والترجمة
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

إن القرآن الكريم هو المدرسة الإلهية المفتوحة على مر الأزمان لتخرّج المؤمنين والأتقياء والصالحين والأولياء، ينهل من نوره من أراد، يخاطب الناس جميعاً على اختلاف قدراتهم العلمية وقابلياتهم الذهنية.

والقَصَص هو أحد الأساليب القرآنية لإيصال النور والهداية إلى العقول والقلوب، ويتميز بقوته وتأثيره وإمكانية الاستفادة منه وإدراكه وايصال أهدافه إلى جميع أفراد الإنسان.

وهذا الكتاب الماثل بين يديك يتعرض لمجموعة من القصص القرآنية لبيان أهدافها وشرح مفرداتها والاضاءة على مفاهيمها، ليضاف إلى سلسلة الدروس الثقافية.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن الكريم، الذين يهتدون بهداه، ويوفقنا لأخذ قصصه عبرة تعيننا على دنيانا لتقومها وتصلح آخرتنا، فنكون من الفائزين، وله الحمد أولاً وآخراً.



الدرس الأول

حبّ الجاه والعزة الموهومة

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]

قصة هاتين الآيتين

عند عودة الناس من إحدى الغزوات وردت واردتهم[2] ومع أحد المسلمين أجير له غفاريّ من المهاجرين يقود فرساً، فازدحم المهاجري مع رجل من بني عوف بن خزرج وهم من الأنصار على الماء فاقتتلا فصرخ الأنصاري: يا معشر الأنصار؛ وصرخ الغفاري: يا معشر المهاجرين؛ فأعان الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيراً فقال عبد الله بن أُبيّ لجعال: إنك لهتّاك، فقال: وما يمنعني أن أفعل ذلك؟ واشتد لسان جعال على عبد الله ، فقال عبد الله: والذي يحلف به غير

(١) المنافقون: الآيتان ٧و٨

(٢) الواردة: هم القوم الذين يأتون إلى مواضع الماء.

علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي أن يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا[١].

حبّ السلطة من أعظم الأمراض

إن من أعظم ما يُبتلى به الإنسان المؤمن ويؤدي إلى خروجه من الإيمان إلى الكفر هو تعلّقه بالسلطة والجاه، فإنّه يفتك بكل مقومات إيمان المسلم، وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما ذئبان ضاريان أُرسلا في زريبة غنم، بأكثر فساداً فيها من حبّ المال والجاه في دين الرجل المسلم[٢].

وإنّما كان التعلّق بالرئاسة أخطر من التعلّق بالمال أو الدينار لأنّ الإنسان قد يبذل المال لأجل الوصول إلى السلطة والجاه دون العكس، فقد ورد في الرواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام: إن في الناس من خسر الدنيا والآخرة يترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة[٣].

وهذا خير شاهد على شدّة تعلق الإنسان بالجاه والسلطة، وكون ذلك من أقوى مكائد الشيطان وأشدها فتكاً به.

آفات حبّ الرئاسة

١. التكبّر والفخر

إن من البلاءات التي يبتلى بها طالب الرئاسة، وهو من أعظم المفاسد الأخلاقية، التكبّر، فالإنسان المتعلّق قلبه بحبّ الرئاسة متى رأى الناس تمشي خلفه وتنصاع لأوامره، أُصيب بذلك الداء، فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: إياكم

(١) - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١٩ - ص ٢٨٣ - ٢٨٤.
(٢) - جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ٢ ص ٣٦.
(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢ ص ٨٤.

وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك[١].

إن الشخص الذي يترأس الناس يبدأ بالتفاخر عليهم، وقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: آفة الرئاسة الفخر[٢].

٢. ظلم الناس

إن تولّي الرئاسة والسلطة يُلقي على عاتق الإنسان مسؤولية إقامة العدل بين الناس، وأي تقصير في ذلك يجعل الإنسان مسؤولاً أمام الله عز وجل عن ذلك، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أول من يدخل النار أمير متسلط لم يعدل[٣].

ولا ينحصر مصداق هذه الرواية بمن يتولى رئاسة الدولة أو المناصب العليا، بل يشمل حتى المسؤوليات الصغيرة والتي يكون المتصدي لها مسؤولاً عن دائرة ضيقة من الناس أو من الأعمال.

٣. النفاق

إنّ من الموروثات التي تنتقل إلى من يحب الرئاسة النفاق، وهو أخطر ما يمكن أن يعيشه من يحب الرئاسة، لأنّه وفي سبيل الرئاسة يسعى لمهادنة الناس واحداً بعد آخر، و يَظهر بوجهٍ حسنٍ أمام كل واحد منهم ولو كان ذلك مستلزماً لأن يكون ذا وجهين، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: ورأيت الرجل يطلب الرئاسة لعرض الدنيا ويشهر نفسه بخبث اللسان ليُتّقى وتسند إليه الامور[٤].

العزة الحقيقية والعزة الموهومة

أولاً، العزة الحقيقية

العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

(١) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٢) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ١٠٠٧ .

(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٦ ص ٣٩٣ .

(٤) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٢٥٨

العـزة هـي صفة تجعل الإنسان في مكانة ينال فيها الاحترام والتقدير، عن حق، وبأسباب موجبة للعزة ورد عدّها في الروايات. فما هي موجبات العزة الحقيقية؟

أعظم العزّ

١. العبودية لله

إذا أدرك الإنسـان حقيقـة الذات الإلهيـة، وعرف الله عزّ وجل حـق المعرفة، فإنّـه سـوف يرى أعظـم العز في أن يكون عبداً لله عـز وجل، قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾[١] وقد ورد في مناجاة لأميـر المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً[٢].

٢. الطاعة لله

إذا كان كل مـا في هذا الكـون خاضعاً لله عز وجل وطوع إرادته، فإن العزّ الذي ينالـه الإنسـان لا يكون إلا بالطاعة لمن بيده أمر هذا الكون، ولذا ورد في الروايات بيان طريق نيل العزّة من خلال سلوك طريق الطاعة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: من أراد عزاً بلا عشيرة، وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته[٣].

وعن الإمام علي عليه السلام: لا عزّ كالطاعة[٤].

ثانياً، العزّة الموهومة

(١) فاطر: ١٠

(٢) - روضة الواعظين - الفتال النيسابوري - ص ١٠٩.

(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ ص ١٧٨.

(٤) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ ص ١٩٥٨.

١. العزة بالمال والدنيا

يظـن الكثير من النـاس أن العزيز هو الذي يملك المـال والدنيا، يتصرف كما يشاء ويمتنّ على الآخرين بالعطايا، وهو مفهوم خاطئ، فلربّ فقير في المال غني فـي نفسه، بينما صاحب المـال يعيش الذل، لحرصه على المال، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل: أي ذلّ أذل؟ قال: الحرص على الدنيا[١].

كمـا ورد في روايات أخرى ذم الطمع بالدنيا وأنه موجب للذل، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ثمرة الطمع ذل الدنيا وشقاء الآخرة[٢].

٢. العزة بالعشيرة

إن العصبيـة العمياء قد تقود الإنسان إلى المهالـك، فهو يرى في العشيرة عزّةً وإن كانـوا قومـاً لا يعرفـون الله عز وجل، وهـذا ما حاول أن يفتخر بـه عبد الله بن أبـي، في الحادثة التـي نزلت فيها الآية. وهذه العصبية المذمومة هي التي تعرّضت لهـا الروايـات، فقد ورد عـن الإمام زين العابدين عليه السلام ـ لمـا سُئل عن العصبية: العصبيـة التي يأثم عليهـا صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيـراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم[٣].

فهذا إبليس أراد أن يعتزَّ بأصله وأنّه من نار فوقع في أعظم المعاصي، وقد ورد فـي رواية عنه عليه السلام ـ أيضاً ـ: اعترتـه الحميَّة، وغلبت عليه الشقوة، وتعزز بخلقة النـار، واستوهن خلق الصلصـال[٤].

---

(١) - معاني الأخبار - الشيخ الصدوق - ص ١٩٨ .

(٢) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ١٧٤١ .

(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٠ ص ٢٨٨ .

(٤) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٤ ص ٣٠٣ .



خلاصة الدرس

- حبّ الجاه والسلطة مرض قلبي أخطر من حب المال، لأن الإنسان يبذل المال في سبيل السلطة والجاه دون العكس.

- آفات حب الرئاسة: ١. التكبر والفخر، ٢. ظلم الناس، ٣. النفاق.

- العــزة الحقيقيــة هي العزة التي تكــون للّه ولرسوله وللمؤمنيــن، وأعظم العزة تتمثل بأمرين: العبودية للّه والطاعة للّه.

- العزة الموهومة تتمثل بالعزة بالمال والدنيا، والعزة بالعشيرة، وذلك بأن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين.



أسئلة حول الدرس

١. كيف تفسر قول الإمام الصادق عليه السلام في الرواية: يترك الدنيا للدنيا.

٢. كيف يقع من يحب الجاه والرئاسة في النفاق؟

٣. كيف تفسّر كون العبودية للّه عز وجل عزاً حقيقياً؟

٤. متى يكون العز بالعشيرة مذموماً؟



للمطالعة

ورد في كتاب بحار الأنوار:

(اعلم أن المتكبر عليه هو الله أو رسله أو ساير الخلق، فهو بهذه الجهة ثلاثة أقسام: الأول التكبر على الله، وهو أفحش أنواعه ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان، مثل ما كان لنمرود وفرعون. الثاني التكبر على الرسل والأوصياء عليهم السلام كقولهم: «أنؤمن لبشرين مثلنا» «ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون» «وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً» وهذا قريب من التكبر على الله عز وجل، وإن كان دونه، ولكنه تكبر عن قبول أمر الله. الثالث التكبر على العباد، وذلك بأن يستعظم نفسه، ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم، وتدعوه إلى الترفع عليهم، فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواتهم، وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين: أحدهما أن الكبر والعزة والعظمة لا يليق إلا بالمالك القادر فأما العبد الضعيف الذليل المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء، فمن أين يليق به الكبر؟ فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته » اي أنه خاص صفتي ولا يليق إلا بي، والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي، فإذا كان التكبر على عباده لا يليق إلا به، فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه، والوجه الثاني أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره، لأنَّ المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله، استنكف عن قبوله... وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين، إذ وصفهم الله تعالى فقال: «وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال تعالى: «وإذا قيلَ لهُ اتقِ الله أخذته العزة بالإثم»[1]).

(1) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٠ - ص ١٩٤ - ١٩٦

الدرس الثاني

التسويف والإصرار على التوبة

﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.[١]

قصة الآيات

ثلاثة من المسلمين وهم: «كعب بن مالك» و«مرارة بن ربيع» و«وهلال بن أمية»، امتنعوا عن المسير مع النبي ﷺ والاشتراك في غزوة تبوك، إلا أن ذلك ليس لكونهم جزءاً من المنافقين، بل لكسلهم وتثاقلهم، فلم يمض زمان حتى ندموا. فلما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك حضروا عنده وطلبوا منه العفو عن تقصيرهم، إلا أن النبي ﷺ لم يكلمهم ولو بكلمة واحدة، وأمر المسلمين أيضاً أن لا يكلموهم. لقد عاش هؤلاء محاصرة اجتماعية عجيبةً وشديدةً، حتى أن أطفالهم ونساءهم

(١) التوبة: ١١٧و ١١٨

أتـوا إلى النبـي ﷺ ، وطلبوا الإذن منه في أن يفارقوا هـؤلاء، إلا أن النبي ﷺ لم يأذن لهم بالمفارقة، لكنَّه أمرهم أن لا يقتربوا منهم . إن فضاء المدينة بسعته قد ضـاق على هؤلاء النفر، واضطروا للتخلص من هـذا الذل والفضيحة الكبيرة إلى تـرك المدينة والالتجاء إلى قمـم الجبال . ومن المسائل التي أثـرت تأثيراً روحياً شديـداً، وأوجدت صدمةً نفسيةً عنيفةً لدى هؤلاء ما رواه كعب بن مالك قال: كنت يومـاً جالساً في سـوق المدينة وأنا مغموم، فتوجه نحوي رجل مسيحي شامي، فلما عرفنـي سلمني رسالة من ملك الغساسنة كتب فيهـا: إذا كان صاحبك قد طردك وأبعدك فالتحق بنا، فتغير حالي وقلت: الويل لي، لقد وصل أمري إلى أن يطمع بي العدو !

خلاصـة الأمر: إن عوائل هـؤلاء وأصدقاءهم كانوا يأتونهـم بالطعام، إلا أنهم كانـوا لا يكلمونهم قط. ومضـت مدة على هذه الحال وهم يتجرعـون ألم الانتظار وترقّـب في أن تنزل آيـة تبشرهم بقبول توبتهم، لكن دون جـدوى. في هذه الأثناء خطـرت علـى ذهن أحدهـم فكرة وقـال: إذا كان النـاس قد قطعـوا علاقتهم بنا واعتزلونـا، فلماذا لا يعتزل كل منا صاحبه؟ صحيح أننا مذنبون جميعاً، لكن يجب أن لا يفـرح أحدنـا لذنب الآخر . وبالفعل اعتزل بعضهـم بعضاً، ولم يتكلموا بكلمة واحدة، ولم يجتمع اثنان منهم في مكان . وأخيراً . . . وبعد خمسين يوماً من التوبة والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى قبلت توبتهم ونزل القرآن في ذلك[١] .

إياك والتسويف

فرضـ الله عـز وجل علـى الإنسان تكاليـف، ولهـذه التكاليف وقتهـا المحدد، والتخلّـف عن هـذا الوقت موجب لضياع هـذا الواجب، ويتحمـل الإنسان مسؤولية ذلـك. والشيطان قـد لا يتمكن من إغـواء الإنسان وإيقاعه مباشـرة في ترك فعل

(١) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٦ - ص ٢٤٦ - ٢٤٧

الواجب، ولكنه يفتح أمامه أبواباً أخرى يوقعه من خلالها في المعصية، ومن ذلك التسويف، فيمنّيه بتأخير الواجب إلى أن ينتهي وقته فيعصي الله كما حصل مع الثلاثة الذين تعرضت لهم الآية.

التسويف ملازم للهلاك

وهكذا يهلك بنو آدم، كهلاك الغريق، إذ يصيبه الهلاك بشكل تدريجي وهو يشعر به ولكنه لا طريق له للخلاص منه، ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: إياك والتسويف، فإنه بحر يغرق فيه الهلكى[١].

كيف نواجه حالة التسويف؟

١. الأجل يأتي بغتة

من الأمور التي يتمكن فيها الإنسان من الغلبة على التسويف أن يلتفت دائماً إلى أن الموت يأتي فجأة، دون سابق إنذار أو تحذير، حيث لا يتمكن بعده من أن يتدارك شيئاً، وهذا ما وردت به الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: فتدارك ما بقي من عمرك، ولا تقل: غداً وبعد غد، فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف، حتى أتاهم أمر الله بغتةً وهم غافلون[٢].

فليعلم الإنسان أنّه ليس له من ساعاته إلا هذه التي يعيش فيها، ولذا هل يضمن لو سوّف فعلاً من الأفعال الواجبة عليه أنه يتمكن من الإتيان به بعد ذلك؟ وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا ذر! إياك والتسويف بأملك، فإنك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وان لم يكن غد لك لم تندم على ما فرطت في اليوم[٣].

والإنسان لما كان لا يدري متى يحين أجله، بل يأتيه بغتة دون سابق إنذار، كيف

(١) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٥ ص ١٦٤

(٢) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٠ ص ٧٥ .

(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٤ ص ٧٥ .

باب الإجابة، ولا ليفتح لعبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة»[١].

بل إن من كبائر الذنوب اليأس من رحمة الله، لأن الإنسان الذي يقع في المعصية ثم يقع في اليأس من رحمة الله، لا يُقدم على التوبة بعد ذلك، لأنه سوف يرى نفسه غارقاً في الذنوب لا يُمكنه الخروج منها، وذلك خلافاً لمن يقع في المعصية ولا يقع في اليأس، فإنّه يبقى أقرب إلى الله عز وجل، وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الفاجر الراجي لرحمة الله تعالى أقرب منها من العابد المقنط[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام: أي بني، لا تؤيس مذنباً، فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير، وكم من مقبل على عمله مفسد في آخر عمره، صائر إلى النار، نعوذ بالله منها[٣].



خلاصة الدرس

- من الأبواب التي يدخل منها الشيطان ليوقع الإنسان في المعصية أن يمنّيه بتسويف الإتيان بالواجب.
- نواجه حالة التسويف: ١. بالالتفات إلى أنّ الأجل يأتي بغتة. ٢. بالطمع بالمغفرة الإلهية.
- على الإنسان الإصرار على التوبة، فإنّه باب من أبواب قبول توبته، والحذر من الوقوع في اليأس من رحمة الله.

(١) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦ ص ٣٦ .
(٢) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ ص ٢٦٣٢ .
(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٤ ص ٢٣٩ .



أسئلة حول الدرس

١. ما هو التسويف؟ وكيف يقع الإنسان فيه؟
٢. كيف يمكن لتذكر الأجل أن يقضي على حالة التسويف؟
٣. ما هو المراد من قوله تعالى: (ثم يتوبون من قريب)؟
٤. لماذا كان اليأس من رحمة الله مؤدياً للهلاك؟



للمطالعة

يـا نفس: ألا تستحين من التوبيخ والتعنيف، على طول التسويف؟ والذي يدعوك إلـى التسويـف اليوم هو معك غـداً، وإنما تزدادين بطول المـدة ردى، وكلما فعلت حوبـةً، وعدتِ نفسك التوبة، وتقولين: إن شبـت تبت، أو عمرت أنبت، ويرى جهلك أن الانسان يستبعد الموت مع الشبان، وهذا جهل منك أيّتها النفس القرونة، والأمر بالعكس يا مسكينة، لأن الموت في الشباب أكثر، وفي الشيوخ أنزر يا نفس، ومثاله: لو عددت مشايخ بلدتك، وشيب قريتك، لكانوا أقل من عشرة رجال، وتجدين الشبان والأطفـال أكثـر منهم علـى كل حال، فإلـى أن يموت شيخ يموت ألـف من الأطفال والشبـان، والغلمان والصبيان، على أن الموت ليس له وقت مخصوص، ولا عليه آن منصوص، بعيد أو قريب، في شباب أو شيب، في شتاء أو صيف، أو ربيع أو خريف، فـإذاً جهلـك بموتك وحب الدنيا، دعيـاك إلى طول الأمل واتباع الهـوى. يا نفس: مثـل أهل الدنيا واشتغالهم بأشغالها، ونسيانهم للآخرة وإهمالها، كمثل قوم ركبوا

السفينة فــي البحر للتجارة، فعدلوا إلى جزيرة لأجــل الطهارة، والملاح يناديهم: إيّاكــم وطول المكث، ودوام اللبث، فمن اشتغــل منكم بغير الوضوء والصلاة فاتته سفينة النجاة، فالعقلاء منهم لم يمكثوا، وشرعوا في الوضوء والصلاة ولم يلبثوا، فوجدوا الأمن والعافية، وأماكن السفينة خالية، فجلسوا في أطهر الأماكن وأوفقها، وأطيب المواضع وأرفقها.[1]

(١) محاسبة النفس - الشيخ إبراهيم الكفعمي - ص ١٧٤ - ١٧٦

الدرس الثالث

حقيقة الإسلام ومراتبه

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾(١)

قصة الآية

نزلت في الزبير ورجل من الأنصار تخاصما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سراح من الحرة كانا يسقيان منه نخلاً لهما، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري، وقال: يا رسول الله إن كان ابن عمتك؟! فتلون وجه رسول الله حتى عرف أن قد ساءه، ثم قال: يا زبير احبس الماء إلى الجدد أو إلى الكعبين، ثم خل سبيل الماء، فنزلت الآية(٢).

حقيقة الإسلام

لا شك في أن الكثير منا يفتخر بأنه من المسلمين ويشكر الله على نعمة الهداية إلى الإسلام، ولكن هل تأملنا في حقيقة الإسلام الذي نؤمن به؟ إنّ حقيقة الإسلام

(١) النساء: ٦٥

(٢) - التبيان - الشيخ الطوسي - ج ٣ ص ٢٤٥

علـى مـا ورد في الروايات هو أن يخضـع الإنسان خضوعاً تامـاً لهذا الدين في كل مـا يتعلق بـه من قريب أو بعيـد، دون رفض لشيء ورضاً بشيء آخـر، ففي الرواية عـن الإمام الصادق عليه السلام: وأما معنى صفة الإسـلام فهو الإقرار بجميع الطاعة الظاهر الحكم والأداء له، فإذا أقر المقر بجميع الطاعة في الظاهر من غير العقد عليه بالقلوب فقد استحق اسم الإسلام ومعناه، واستوجب الولاية الظاهرة، وإجازة شهادته، والمواريث، وصار له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين[١].

إذاً الإسلام ليس قولاً باللسان، كما أنه ليس بالقلب فقط كما يسعى بعض الناس لتصوير ذلك بترديده لكلمة (المهم ما في القلب)، لأن الإسلام القلبي الذي لا يلحقه العمل لا يكون إسلاماً حقيقياً، وفي الحديث عن الإمام علي عليه السلام: لأنسبن الإسلام نسبـة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبـه أحد بعدي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو التصديق، والتصديق هو اليقين، واليقين هو الأداء، والأداء هو العمل[٢].

فإسـلام الانسان له تعالى هو وصـف الانقياد والقبول منه لما يرد عليه من الله سبحانـه من حكـم تكويني، من قـدر وقضـاء، أو تشريعي من أمـر أو نهى أو غير ذلك[٣].

فالمسلـم الحقيقي الذي يحق لـه أن يفتخر بإسلامه هو الذي يخضع في حياته كلها لهذا الدين، سواء في علاقته بالله عز وجل، أو في علاقته بسائر الناس، ولذا ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[٤]، وفـي روايـة أخرى: المسلم أخـو المسلم، لا يظلمه ولا يشتمـه[٥]، وفي رواية ثالثة: المسلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله[٦].

(١) - تحف العقول - ابن شعبة الحراني - ص ٣٢٩.
(٢) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٥ ص ٣٠٩.
(٣) - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١ ص ٣٠١.
(٤) - مكارم الأخلاق - الشيخ الطبرسي - ص ٤٣٨.
(٥) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ١٣٤٠.
(٦) - المصدر نفسه.

مراتب الإسلام

انطلاقاً مـن كون الإسلام هو الخضـوع والانقياد التام لله عـز وجل، والشامل للأمور كافة من تكوينية وتشريعية، فإنّ هذا الإسلام له مراتب:

المرتبـة الأولـى: من مراتـب الإسلام، القبـول لظواهر الأوامـر والنواهي بتلقي الشهادتيـن لساناً، سواءً وافقه القلـب، أو خالفه، قال تعالى: **﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾**.[١]

المرتبـة الثانيـة: التسليـم والانقياد القلبـي للاعتقادات الحقـة التفصيلية وما يتبعها من الأعمال الصالحة، قال الله تعالى في وصف المتقين: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾**[٢] وقال أيضاً: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾**[٣]، فمن الإسلام ما يتأخر عن الايمـان محققاً فهو غير المرتبة الأولى مـن الإسلام، قال تعالـى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾**[٤]، وقـال أيضاً: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[٥].

المرتبة الثالثة: هي المرتبة التي يصل فيها الإنسان إلى مرحلة تنقاد فيها سائر القـوى البهيمية والسبعية، وبالجملة القوى المائلة إلى هوسات الدنيا وزخارفها الفانيـة الداثرة، ويصير الإنسان عابـداً لله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله

(١) الحجرات: ١٤
(٢) الزخرف: ٦٩
(٣) البقرة: ٢٠٨
(٤) الحجرات: ١٥
(٥) الصف: ١٠-١١

يراه، ولم يجد في باطنه وسره ما لا ينقاد إلى أمره ونهيه أو يسخط من قضائه وقدره.

المرتبة الرابعة: التسليم بأنّ الله له حقيقة الملك الذي لا استقلال دونه لشيء من الأشياء لا ذاتاً ولا صفةً، ولا فعلاً على ما يليق بكبريائه جلّت كبريائه. فالإنسان - وهو في المرتبة السابقة من التسليم - ربما أخذته العناية الربّانيّة فأشهدت له أن الملك لله وحده لا يملك شيء سواه لنفسه شيئاً إلا به لا رب سواه، وهذه إفاضة إلهية لا تأثير لإرادة الإنسان فيها، ولعل قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**(1) إشارة إلى هذه المرتبة من الإسلام.

التسليم والطاعة لأمر رسول الله وخلفائه

كما يكون الإسلام الحقيقي أيضاً بالانقياد والتسليم التام لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكمه في الأمور كافة، سواء كان ذلك في موارد الخصومة والنزاع والاختلاف، أو في الأمور العامة من الحرب والقتال والصلح ومقاطعة الكفار وغير ذلك.

ومن الطاعة للرسول الطاعة لخلفائه وهم الأئمة المعصومون المنصبون من قبله ولاة على هذه الأمة ولهم ما لرسول الله من منصب الولاية والطاعة.

ويأتي من بعدهم الفقهاء المنصبون من قبل الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف ولاة على الناس فيجب التسليم لهم والانقياد لهم في الطاعة والالتزام.

كيفية التسليم

أما كيفية التسليم في هذه الأمور فهي تكون باعتماد الخطوات التالية:

١. التحاكم إليهم لا إلى غيرهم، فإذا وقع النزاع أو الخصام فالتحاكم ينبغي أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام من بعده ثم للفقهاء المنصبين من قبل

---

(١) البقرة: ١٢٨

الأئمة، لا إلى حكام الجور ودول الكفر، وذلك لعدم إمكان الجمع بين الكفر بالطاغوت والتحاكم إليه، قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾**(١).

٢. أن لا يشعروا بأي انزعاج أو حرج في نفوسهم تجاه أحكام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأقضيته العادلة التي هي - في الحقيقة - نفس الأوامر الإلهية، ولا يسيئوا الظن بهذه الأحكام.

٣. أن يطبقوا تلك الأحكام - في مرحلة تنفيذها - تطبيقاً كاملاً ويسلموا أمام الحق تسليماً مطلقاً(٢)، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية أنه قال: (لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيءٍ صنعه الله أو صنعه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: لِمَ صنع هكذا وكذا، ولو صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية (الحاضرة) ثم قال عليه السلام: عليكم بالتسليم)(٣).



خلاصة الدرس

- حقيقة الإسلام هي الخضوع التام لأحكام الدين وتعاليمه، والإسلام الحقيقي هو الإسلام الذي يأتي فيه بعد الاعتقاد العمل.

---

(١) النساء: ٦٠

(٢) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج ٣، ص ٢١٠.

(٣) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ ص ٣٩٠ .

- مراتب الإسلام أربعة: ١. القبول بظواهر الأوامر والنواهي. ٢. التسليم والانقياد القلبي. ٣ . الانقياد التام بكافة الجوارح والجوانح. ٤. الاعتقاد بأن المالك الوحيد الحقيقي في هذا الكون هو الله عز وجل.
- من الإسلام التسليم لرسول الله وللأئمة من ولده ثم للفقهاء المنصبين من قبل الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف.
- التسليم لهؤلاء يكون بالتحاكم إليهم لا إلى غيرهم، والانقياد القلبي لحكمهم وقضائهم، وتطبيق الأحكام الصادرة عنهم.



١. ما هي حقيقة الإسلام؟ ومن هو المسلم الحقيقي؟
٢. ما هي مراتب الإسلام؟
٣. كيف يكون التسليم للرسول والائمة والفقهاء؟
٤. لماذا لا يجتمع التسليم مع التحاكم إلى الطاغوت؟



روح الإسلام التسليم أمام الله. لا شك أن استقلال الإنسان الفكري والروحي لا يسمح له أن يستسلم لأحد بدون قيد أو شرط، لأنه إنسان مثله، ومن الممكن أن تكون له أخطاء واشتباهات في المسائل . أما إذا انتهت المسألة إلى الله العالم والحكيم، والنبي الذي يتحدث عنه ويسير بأمره، فإن عدم التسليم المطلق دليل

علـى الضلال والانحراف، حيث لا يوجد أدنى اشتباه فـي أوامره سبحانه ، إضافة إلـى أن أمره حافظ لمنافع الإنسان نفسـه، ولا يعود شيء على ذاته المقدسة، فهل يوجد إنسـان عاقل يسحق مصالحه برجله بعد تشخيص هذه الحقيقة؟ ومضافاً إلـى ذلك فإننا منـه تعالى، وكل ما لدينا منه، ولا يمكـن أن يكون لنا أمر وقرار إلا التسليـم لإرادتـه وأمره، ولذلك تـرى بين دفتي القرآن آيات كثيـرة تشير إلى هذه المسألـة: فمرة تقول آيـة: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَـوْلَ الْمُؤْمِنِيـنَ إِذَا دُعُوا إِلَـى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾، وتقول أخرى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّـكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُـمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾، ويقول القرآن في موضع آخر: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًـا مِّمَّـنْ أَسْلَـمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِـنٌ** ﴾. إن «الإسلام» أُخذ من مادة «التسليم»، وهـو يشير إلى هذه الحقيقـة، وبناء على هذا فإن كل إنسان يتمتع بروح الإسلام بمقـدار تسليمـه لله سبحانه. ينقسم الناس عدة أقسام مـن هذه الناحية: فقسم يسلمـون لأمـر الله في المـوارد التي تنفعهم فقـط، وهؤلاء فـي الحقيقة مشركون انتحلـوا اسم الإسـلام، وعملهم تجزئة لأحـكام الله تعالى، فهم مصـداق: نؤمن ببعض ونكفـر ببعض، فإيمانهـم في الحقيقة إيمـان بمصالحهم لا بـالله تعالى، وآخـرون جعلـوا إرادتهم تبعـا لإرادة الله، وإذا تعارضت منافعهـم الزائلة مع أمر الله سبحانه، فإنهم يغضون الطرف عنها ويسلمون لأمر الله، وهؤلاء هم المؤمنون والمسلمون الحقيقيون. والقسم الثالث أسمى من هؤلاء، فهم لا يريدون إلا ما أراد الله، وليس في قلوبهم إلا ما يشاؤه سبحانه، فقد بلغوا مرتبةً من التسامي لا يحبون معهـا إلا مـا يحبه الله، ولا يبغضون إلا ما أبغضه الله عز وجل. هؤلاء هم الخاصة والمخلصـون والمقربون لديـه، فقد صبغ التوحيد كل وجودهـم، وغرقوا في حبه، وفنوا في جماله.[1]

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٣ - ص ٢٦٦ - ٢٦٨.

الدرس الرابع

بلاء النعمة

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾[1].

قصة الآيات

ثعلبة بن حاطب وهو من الأنصار قال لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال النبي ﷺ: ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه.

ولكن ثعلبة أصر على النبي في أن يدعو له وأعطى رسول الله ﷺ عهداً قال فيه: يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً فوالذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقّه. فدعا له: اللهم ارزقه مالاً، اللهم ارزق ثعلبة مالاً. فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة، فتنحى عن المنزل فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويترك ما سواهما، ثم

(١) التوبة: الآيات من ٧٥ حتى ٧٨

نمـت فكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة، وهـي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعـة، وطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عـن الاخبار، فسأل رسول اللّه ﷺ عنـه فقـال: ما فعل ثعلبـة؟ فقالوا: يا رسـول اللّه، اتخذ غنمـاً فضاقت عليه المدينـة، وأخبروه بأمـره فقال: يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة. قال: وأنزل اللّه - تبارك وتعالـى: خذ من أموالهم صدقـة تطهرهم وتزكيهم بها، وأنـزل اللّه عليه فرائض الصدقـة، فبعـث رسول اللّه ﷺ رجلين علـى الصدقة، وكتب لهمـا كيف يأخذان الصدقـة، وأمرهما ان يخرجا فيأخذا الصدقة، وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنـي سليم، فخذا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبـة فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول اللّه فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذه؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي.

فلمـا فرغـا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة، فقـال: أروني كتابكما، فنظر فيـه فقال: ما هذا إلا اخت الجزية، إنطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى أتيا النبي فلما رآهما قال: يا ويح ثعلبة ما فعل ثعلبة؟ فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، فانزل اللّه فيه الآيات المذكورة وعند رسول اللّه ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فانطلق حتـى اتـى ثعلبة فقال: قد انـزل اللّه فيك كذا وكـذا، فخرج ثعلبة حتـى أتى النبي فسألـه أن يقبـل منه صدقته فقال: إنَّ اللّه قد منعني أن أقبل منك صدقتك، فجعل يحثو على رأسه التراب، وقبض رسول اللّه ﷺ ولم يقبل منه شيئاً.

والذي يظهر من سبب النزول المذكور ومن مضمون الآيات أن هذا الشخص لم يكن من المنافقين في بداية الأمر، لكنه لهذه الأعمال سار في ركابهم[(١)].

الدروس المستفادة من القصة

١. الابتلاء يكون في الغنى كما يكون في الفقر

(١) - الأمثـل فـي تفسير كتاب اللّه المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٦ ص ١٣٢، بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٢ ص ٤٠.

يظـن الكثير من الناس أن الابتـلاء لا يكون إلا بالمشقات والفقر، مع أن القرآن الكريـم نصّ على أن الابتلاء كمـا يكون بالشر قد يكون بالخيـر ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾[1].

فـالله عز وجل واختبـاراً منه لهذا الإنســان كما يختبره فــي الشدائد والمكاره يختبــره بالرخاء والنعـم، لينظر إلى أن هذا الإنسان هل يبقى عارفاً بالله عز وجل وفضلـه أو يصـل إلى الإنكار؟ وقـد ورد عن أميـر المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية: ﴿**نَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً...**﴾: فالخير الصحة والغنى، والشر المرض والفقر، ابتلاءً واختباراً[2].

ومـن هنـا ينبغي على أهـل الغنى أن يعيشـوا الحذر دائماً مـن الغفلة عن الله، وقـد ورد فـي رواية عن أميـر المؤمنين عليه السلام: إذا رأيت ربـك يوالي عليك البلاء فاشكره، إذا رأيت ربك يتابع عليك النعم فاحذره[3].

وهـذه النعم تبـدأ بالازدياد كلما ابتدأ الإنسان بالابتعـاد عن الله عز وجل شيئاً فشيئاً، وهذا ما نشهده في قصة ثعلبة، فإذا به يتخلّف عن حضور صلاة الجماعة، فزاد رزقه، فإذا به يتخلّف عن صلاة الجمعة وهكذا. وقد ورد في الرواية بيان هذه الحالـة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً فأذنب ذنباً تبعـه بنقمـة ويذكره الاستغفار، وإذا أراد الله عز وجل بعبـد شراً فأذنب ذنباً تبعه بنعمـة لينسيـه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله عز وجـل: ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ بالنعم عند المعاصي[4].

٢. الإيمان المستعار

فالإنســان قد يكون عارفاً بحق الله عز وجل مؤدياً له أيام الشدة والمحنة ولكنه

---

(١) الأنبياء: ٣٥

(٢) - بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٨١ ص ٢٠٩.

(٣) - غرر الحكم: ٤٠٨٣

(٤) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٤ ص ٢٢٩.

فـي أيام الرخاء والدعة ينسى الله ويقصّر في حـق الله عز وجل، وهذا معنى كون الرخـاء من البلاء، وقد ورد في رواية أخرى عـن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال، والأيام توضح لك السرائر الكامنة(١).

وقد يعيش الإنسان حالة من الإيمان ولكنه لفقره لم يُبتل بالتكاليف ولكن إيمانه الحقيقـي يظهر عندمـا يمتلك المـال وتأتي التكاليـف الإلهية تأمـره ببذل المال فيكتشـف أن إيمانه مجرد لقلقة لسان وأنـه إيمان مستعار غير حقيقي، بل الإيمان الحقيقـي هو الـذي يقترن بالعمل الصالح، فقد ورد عـن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه(٢).

٣. مضارّ الطمع بالمال

المـال، هو أكبر حبائل إبليس التي يضعها أمـام الإنسان ليوقعه في شراكه. ولا مشكلة في أن يطلب الإنسان المال ولا في أن يسعى لاكتسابه، بل حث الإسلام على طلـب الرزق والاستغناء عمّا في أيدي الناس، ولكـن الفتنة في أن يحرص الإنسان علـى المال وأن يمتلكه هذا المـال بمعنى أن يصبح هو المعيار في القبول والرفض والفـرح والسـرور، فقد ورد في روايـة عن أمير المؤمنيـن عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا تفرح بالغناء والرخاء، ولا تغتم بالفقر والبلاء(٣)

ومـن الابتلاءات الإلهية على أصحاب النعم والأموال التكاليفُ التي أمرهم الله عز وجل من خلالها بإخراج شيء من أموالهم مما يعرف بالحقوق، من خمس وزكاة وصدقـة، وقـد ورد وصف هذه التكاليف بالابتلاءات فـي رواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : ما بلى الله العباد بشيء أشدّ عليهم من إخراج الدرهم(٤).

وهـذا ما ابتلى الله به ثعلبة بن حاطـب الأنصاري، فقد جاءه الأمر بإخراج حق

(١) - بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٧٧ ص ٢٨٦.
(٢) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٦ ص ٦٦ .
(٣) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٣٠٢ .
(٤) - وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٩ ص ١٩ .

الله مـن مالـه ولكن طمعه بالمال أدّى به إلى أن يرفض الأداء وإلى أن يعتبر ذلك نوعـاً من الفرض بالقوة ونوعاً مـن المذلّة والانتقام. وهذا ما قد نجد له مصاديق فـي زماننا كمثل من يتمسك بالحجج الواهية لرفض إخراج ما فرض الله عز وجل عليه في ماله.

٤.الآثار التكوينية للمعصية

تتحـدث الآيـات الكريمة عن بعض الآثار التكوينيـة التي تترتب علـى التخلّف عـن أداء التكاليـف، ومن هذه الآثـار ما عبّرت عنه الآية الكريمـة بالنفاق إلى يوم القيامة.

إن العلاقة بين الكثير من الذنوب والصفات السيئة، بل وحتى بين الكفر والنفاق، هـي نسبة وعلاقـة العلة والمعلول، لأن الجملة الآنفة الذكـر تبين وتقول بصراحة: إن سبـب النفاق الـذي نبت في قلوبهـم وحرفهم عن الجادة هـو بخلهم ونقضهم لعهودهـم، وكذلك الذنـوب والمخالفات الأخرى التي ارتكبوهـا، ولهذا فإننا نقرأ: الكبائـر فـي بعض الأحيان تكـون سبباً في أن يمـوت الإنسان وهو غيـر مؤمن، إذ ينسلخ منه روح الإيمان بسببها[١].

فعـن الإمام الصـادق عليه السلام: إن الرجل يذنب الذنب فيحـرم صلاة الليل، وإن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم[٢]..... .

بل إن بقاء النعمة واستمرارها يتوقف على الطاعة وعدم معصية الله، فقد ورد فـي الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيـه عليه السلام أنه كان يقول: إن الله قضى قضـاء حتماً ألا ينعم علـى العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة[٣].

---

(١) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٦ ص ١٣٥

(٢) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٣) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٢٧٣ .

ولو أن رجلاً حمل الزكاة فأعطاها علانيةً لم يكن عليه في ذلك عيب وذلك أن الله عـز وجل فرض في أمـوال الأغنياء للفقراء مما يكتفون به، ولو علم أن الذي فرض لهـم لا يكفيهم لزادهم، وإنما يؤتى الفقراء فيما أوتوا من منع من منعهم حقوقهم لا من الفريضة.

وعـن أبي الحسـن علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ كتب إليـه فيما كتب من جواب مسائله أن علة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء لأن الله تعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة من البلوى كما قال عز وجل: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**﴾ فـي أموالكم إخراج الزكاة وفـي أنفسكم توطين النفس علـى الصبر مع مـا في ذلك من أداء شكـر نعم الله عز وجل والطمـع في الزيادة مـع ما فيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهـل الضعف والعطف على أهل المسكنة والحـث لهم على المساواة وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدين، وهي عظة لأهـل الغنى عبرةً لهم ليستدلوا على فقـر الآخرة بهم، وما لهم من الحث في ذلك علـى الشكر لله تبارك وتعالى لما خولهم وأعطاهـم والدعاء والتضرع والخوف أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف.[1]

---

(١) علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ٢ ص ٣٦٩

الدرس الخامس

كتمان السر

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾(١)

قصة الآية

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بتجهيز أنفسهم لفتح مكة، وكانت هناك امرأة اسمها سارة، تتردد على مكة، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وكتب معها كتاباً إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها برداً على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، وكتب في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة إن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم . فخرجت سارة، ونزل جبرائيل فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما فعل، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وعماراً وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد وكانوا كلهم فرساناً وقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب

(١) الممتحنة: ١

إلى المشركين فخذوه منها، فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً، فهموا بالرجوع، فقال علي عليه السلام: والله ما كذّبنا ولا كُذبنا، وسل سيفه وقال: أخرجي الكتاب وإلا والله لأضربن عنقك. فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها، فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأرسل إلى حاطب فأتاه، فقال له: هل تعرف الكتاب؟ قال: نعم، قال: فما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت عريراً فيهم (أي غريباً) وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً. فصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعذره[١].

أهمية كتمان السر

لقد حثت التعاليم الإسلامية الإنسان على التحلّي ببعض الصفات الحسنة والعمل على أن تكون سلوكاً حياتياً لديه، لما في ذلك من صلاح حياته، ولما تعود به من نفع له في هذه الدنيا. ومن هذه الصفات الاستعانة على قضاء حوائجه والوصول إلى مآربه من خلال كتمان السر، وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان[٢].

ولكن لا يقتصر أمر كتمان السر على الأمور الشخصية الخاصّة بل إن ذلك يتناول أيضاً المسائل العامة التي ترتبط بالمجتمع وبالأمة التي يعيش فيها الإنسان.

ولذا سوف نتحدث عن كلا الأمرين

أولا: كتمان السر في الأمور العامة.

إن من أخطر ما يقع به الإنسان أن يفضح أمراً يتعلّق بالمجتمع الإسلامي عموماً،

(١) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٨ - ص ٢٣٥ - ٢٣٦

(٢) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٦٣٠

وذلك كما في أمور الحرب والقتال، أو في المصالح العامة التي ترتبط بالمسلمين من اقتصاد، ومال وتجارة وغير ذلك، بل حتّى فيما يرتبط ببعض معارف الدين ،مما قد يقوم غير المؤمنين بالتشنيع على الإسلام فيه ورد الحث على الكتمان كما في بعض معارف أهل البيت عليهم السلام . فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : كتمان سرنا جهاد في سبيل الله[١] . وعن الإمام الباقر عليه السلام : والله إن أحب أصحابي إلي أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا[٢] .

وما يوقع الإنسان في هذا أحد أمرين:

١. فلتات اللسان (زلّة اللسان)

يعثر الإنسان في حديثه أحياناً فينطق لسانه بأمر يؤدي إلى أن يفضح أمراً ينبغي ستره، فإذا كان ذلك الأمر مما يتعلق بمصالح المسلمين العامة كان الضرر أكبر، وقد ورد الحث على حفظ الإنسان للسانه، ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام : إن هذا اللسان مفتاح كل خير وشر، فينبغي للمؤمن أن يختم على لسانه كما يختم على ذهبه وفضته[٣] .

وهذا ما يُطلق عليه الناس تسمية زلّة اللسان، فلا يكون المتكلم قاصداً لأن يفضح أمراً من الأمور، ولكن هذه الزلّة تكون قاتلةً أحياناً ولذا ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام : زلة اللسان أشد من جرح السنان[٤] .

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام يبيّن فيها الخطر العظيم لزلات اللسان: المرء يعثر برجله فيبرأ، ويعثر بلسانه فيقطع رأسه. إحفظ لسانك فإنَّ الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فان أطلقها صار أسيراً في وثاقها[٥] .

---

(١) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ ص ٧٠

(٢) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٥ ص ١٧٨ .

(٤) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ ص ٢٧٧٩ .

(٥) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ ص ٢٩٣ .

والأمـر يتجاوز مجرد ما يقع في الدنيا إلى المسؤولية والعقوبة في الآخرة، ففي روايـة عن الإمام الباقر عليه السلام : يحشر العبـد يوم القيامة وما ندى دماً فيدفع إليه شبـه المحجمة أو فوق ذلـك، فيقال له: هذا سهمك من دم فـلان، فيقول: يا رب، إنـك لتعلـم أنك قبضتني وما سفكت دماً، فيقول: بلـى، سمعت من فلان رواية كذا وكذا، فرويتها عليه، فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه[١].

ويفسّـر الإمام الصادق عليه السلام الآية الكريمة ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ فيقول: واللّه ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيافهم، ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأُخذوا عليها فقُتلوا[٢].

٢. المودّة مع أعداء الدين

إنّ ممّـا حـذّر منه الإسـلام بشدّة، ممـا يُوقع الإنسان فـي إفشائه لسـر يتعلّق بالمسلميـن، أن تكون له مودّة مع أحد من أعداء الدين، لمصالح تتعلق به وترتبط مع ذلك العدو الذي يكيد بالمسلمين، وهذا هو الذي وقع فيه حاطب بن أبي بلتعة. وتؤكد الآية الكريمة أن هذه المودّة لن تكون إلا من طرف واحد، وإلا فإنّ هؤلاء لن يظهروا لكم المودّة إطلاقاً.

عـن الإمام علي عليه السلام : «إيـاك أن تحب أعداء اللّه، أو تصفي ودك لغير أولياء اللّه، فإن من أحب قوماً حشر معهم»[٣].

ثانيا: كتمان السر في الأمور الخاصّة.

كمـا ينبغـي للمرء أن يسعى ليكتم سـرّه في الأمور الخاصـة. ويترتب على ذلك فوائد عديدة أشارت إليها الروايات:

---

(١) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٣٧٠ .

(٢) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٣٧١ .

(٣) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٤٩٧ .

أ . ان يملك الإنسان أمره

فـإذا نوى الإنسان أمـراً وأبقاه سراً عند نفسه أمكن لـه أن يعدل في رأيه أو أن يسعى به دون أن يعيقه أحد، فعن الإمام علي عليه السلام : من كتم سره كانت الخيرة في يده[١]، وعنه عليه السلام : سرك أسيرك فإن أفشيته صرت أسيره[٢].

ب . أن ينجح الإنسان في أمره

الحيـاة بطبعها ساحة للتنافس، يسعى كل إنسـان لينال منها، ومن الطبيعي أن يغتنم كل فرصة تمر أمامه، فإذا كانت أمامك فرصة تنال فيها خيراً فاستعن على الوصول إلى ذلك بالكتمان، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام : أنجح الأمور ما أحاط بـه الكتمان[٣]، وعن الإمام الجـواد عليه السلام : إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له[٤].

ج . الحذر من الخيانة

إذا أودعـت سرك عند غيرك قد يخونك، فقـد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام : انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل ولا جاهلاً فيخون[٥].

والخيانة قد تصدر حتّى عن شخص صديق لك، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام : لا تطلـع صديقك من سرك إلا على ما لـو أطلعت عليه عدوك لم يضرك، فإن الصديق قد يكون عدواً يوماً ما[٦].

---

(١) - نهج البلاغة- الإمام علي — الحكمة رقم ١٦٢ .

(٢) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ١٢٨٢

(٣) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ١٢٨٢ .

(٤) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ ص ٧١ .

(٥) - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٦) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ١٢٨٣ .



خلاصة الدرس

- كتمان السر سبب لقضاء الحوائج، والوصول إلى الغايات، سواء فيما يتعلق بالفرد أو بالمجتمع.
- يجب على الإنسان حفظ الأسرار العامة التي ترتبط بمصالح المجتمع الإسلامي.
- الأسباب التي توجب إفشاء السر إما زلات اللسان، فعلى الإنسان حفظ لسانه، أو المودة للمشركين، فعلى الإنسان أن يبرأ منهم.
- لكتمان السر في الأمور الشخصية فوائد عديدة: أن يملك الإنسان أمره، وينجح فيه، ويحذر من الخيانة.



أسئلة حول الدرس

١. كيف تفسّر قول الإمام الصادق عليه السلام: كتمان سرنا جهاد في سبيل الله؟

٢. ما هي أعظم مخاطر زلة اللسان؟

٣. كيف يضمن الإنسان النجاح في عمله؟

٤. لماذا وردت النصيحة من الإمام علي عليه السلام بكتمان السر حتى عن الصديق؟



إفشاء السر: إذاعته، وهو أعم من كشف العيب، إذ السر قد يكون عيباً وقد لا يكون بعيب، ولكن في إفشائه إيذاء وإهانة بحق الأصدقاء أو غيرهم من المسلمين، وهو من رذائل قوة الغضب إن كان منشأه العداوة، ومن رذائل قوة الشهوة إن كان منشأه تصور نفع مالي، أو مجرد اهتزاز النفس بذلك لخباثتها، وهو مذموم منهي عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا حدّث الرجل الحديث ثم التفت، فهي أمانة» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الحديث بينكم أمانة»، وورد: «إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك»، وقال عبد الله بن سنان للصادق عليه السلام: «عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ فقال: نعم ! قلت: يعني سفلته؟ قال: ليس حيث تذهب، إنما هو إذاعة سره».

كتمان السر: ضدّ إفشاء السر كتمانه، وهو من الأفعال المحمودة، وقد أُمر به في الأخبار. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لعبد نومة، عرفه الله ولم يعرفه الناس، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ينجلي عنهم كل فتنة مظلمة ليسوا بالمذاييع البذر، ولا الجفاة المرائين». وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قولوا الخير تعرفوا به، واعملوا الخير تكونوا من أهله، ولا تكونوا عجلاً مذاييع، فإن خياركم الذين إذا نظر إليهم ذكر الله، وشراركم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، المبتغون للبراء المعايب».(1)

(1) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ٢ - ص ٢١٠ - ٢١١

الدرس السادس

الخيانة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.(١)

قصة الآيات

ورد في الرواية عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في بيان سبب نزول الآيات أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلةً فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحات من أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحاً لهم لأنَّ عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاهم فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة؟ أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه: إنه الذبح

(١) الأنفال: الآيات من ٢٦ إلى ٢٨.

فلا تفعلوا، فأتاه جبرائيل فأخبره بذلك . قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله فنزلت الآيات فيه فلما نزلت شدَّ نفسه على سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليَّ فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني، فجاءه وحله بيده . ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي، فقال النبي ﷺ: يجزيك الثلث ان تصدق به[١].

أنواع الأمانات وكيف تكون الخيانة

النوع الأول: من الأمانة ما هو أمانة الله سبحانه عند الناس كأحكامه المشرعة من عنده.

النوع الثاني: منها ما هو أمانة الرسول ﷺ وهي عبارة عن السنن التي أمر بها وسيرته في حياته العملية.

وأما خيانة هذين النوعين فتتحقق بمعصية الله عز وجل وبالتخلف عن العمل بسنّة رسول الله ﷺ.

وقد ورد في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: خيانة الله والرسول معصيتهما[٢].

وفي رواية أخرى عن الإمام علي عليه السلام: لكنه سبحانه جعل حقَّه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه[٣].

فإذا كانت الطاعة لله عز وجل هي من حقوق الله، فالمعصية خيانة لهذا

---

(١) . تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٩ - ص ٦٤ .

(٢) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٢ ص ٦٧.

(٣) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٨ ص ٢٥٣ .

الحق.

النوع الثالث: ما هو أمانة الناس بعضهم عند بعض كالأمانات من أموالهم أو أسرارهم.

النوع الرابع: منها ما يشترك فيه الله ورسوله والمؤمنون، وهي الأمور التي أمر بها الله سبحانه وأجراها الرسول وينتفع بها الناس ويقوم بها صلب مجتمعهم كالأسرار السياسية والمقاصد الحربية التي تضيع بإفشائها آمال الدين وتضل بإذاعتها مساعي الحكومة الإسلامية فيبطل به حق الله ورسوله ويعود ضرره إلى عامة المؤمنين. فهذا النوع من الأمانة خيانته خيانة لله ورسوله وللمؤمنين، فالخائن بهذه الخيانة من المؤمنين يخون الله والرسول وهو يعلم أن هذه الأمانة التي يخونها أمانة لنفسه ولسائر إخوانه المؤمنين وهو يخون أمانة نفسه، ولن يقدم عاقل على الخيانة لأمانة نفسه[١].

ومن هنا تكون المسؤولية عظيمة على من يتولى أمور الناس وأمور المسلمين مهما كانت المسؤولية التي يتولاها صغيرةً أو محدودةً.

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته[٢].

من مصاديق الخيانة

١. خيانة العهد والميثاق

من أنواع الخيانات التي تعم بها البلوى بين الناس خيانة العهد والميثاق، وهذا العهد إما أن يكون مع الله عز وجل، كما لو عاهد الله على أن يترك أمراً أو يقوم بأمر ولكنه تخلّف عن ذلك، فإن الوفاء بالعهد لازم والنكث به خيانة. بل من أعظم الخيانة هو أن ينقض الإنسان عهد الطاعة هذا لله عز وجل فيطيع الشيطان، قال تعالى: ﴿

(١) . تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٩ ص ٥٥.

(٢) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ١٢١٢.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١].

وإما أن يكون مع سائر الناس سواء كانوا مؤمنين أو كافرين، وسواء كان على مستوى شخصي فردي أو على مستوى طائفة من الناس وفرقة منهم. وقد ورد في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر قال: وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدةً، أو ألبسته منك ذمةً، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنةً دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً - مع تفرق أهوائهم، وتشتت آرائهم - من تعظيم الوفاء بالعهود[٢].

٢. خيانة الأمانات المادية

مما أكدّت عليه التعاليم الإسلامية الحرص على أداء الأمانة التي يحملها الإنسان من مال غيره، فعن الإمام الصادق عليه السلام: يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب[٣].

بل وحذرت الروايات من الآثار الدنيوية لخيانة الأمانة المادية، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: لو أن أحدكم هرب من رزقه لتبعه حتى يدركه كما أنه إن هرب من أجله تبعه حتى يدركه، من خان خيانةً حسبت عليه من رزقه وكتب عليه وزرها[٤].

ومظاهر خيانة الأمانات التي يأتمنك الناس عليها كثيرة، فقد يضع أحدهم معك مالاً لتّتجر له به على أن يكون الربح بينك وبينه، فلا تقوم بإعطائه الربح كاملاً، بل تنتقص منه وتحتال لذلك بشتى الوسائل والطرق، وهذا نوع من أنواع الخيانة.

٣. خيانة الحقوق

---

(١) يس: ٦٠

(٢) - نهج البلاغة، عهد الإمام لمالك الأشتر.

(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ ص ١٧٢.

(٤) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ ص ٣٠٤.

ممـا ورد في الروايات وصفه بأنّه من الخيانــة التقصير في أداء الحقوق. ولكي نوضح صورة الخيانة في هذا المجال لنلحظ العناوين التالية:

. عدم كتمان السر

قـد يضع أحـد إخوانك سره عنـدك، فخيانته تكون بإفشائه بيـن الناس، مهما كان هـذا السـرّ صغيراً، بل حتّى لو أخبرك بأمر ولـم يطلب منك أن تخفيه ولكنك كنت تعلم أنه يكره إظهاره، فقد ورد في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: المجالس بالأمانة، وإفشاء سر أخيك خيانة، فاجتنب ذلك[١].

. التقصير في أداء حق أخيك

إذا انعقـدت الأخوة بيـن المؤمنين فلا بد من الوفاء بهـذا العقد، وكل ما يكون تقصيراً في أداء حق الأخوة يكون نوعاً من الخيانة.

فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: أيّما رجل من أصحابنا استعان بـه رجـل من إخوانـه في حاجة فلـم يبالغ فيها بـكل جهده فقد خـان الله ورسوله والمؤمنين[٢].

وفـي رواية أخرى عن الإمام الصـادق عليه السلام - لأبي هارون المكفوف -: يا أبا هـارون، إن الله تبـارك وتعالى آلـى على نفسه أن لا يجاوره خائـن، قال: قلت: وما الخائن؟ قال: من ادخر عن مؤمن درهماً أو حبس عنه شيئاً من أمر الدنيا[٣].

. عدم النصيحة للمستشير

قد يلجأ أحدهم إليك ليسألك عن أمر من الأمور، ويطلب منك أن تنصحه وترشده إلى ما فيه الخير له، وهو يأمل منك أن تكون دليلاً له ينقذه من الوقوع في الهلكات، ولكنـك لا تخلص له النصيحة أو ترشده إلى غير ما فيه خيره وصلاحه، وهذا من

(١) - مكارم الأخلاق - الشيخ الطبرسي - ص ٤٧٠ .
(٢) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ ص ١٧٥ .
(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ ص ١٧٣ .

مصاديق الخيانة. فقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: خيانة المستسلم والمستشير من أفظع الأمور، وأعظم الشرور، وموجب عذاب السعير[1].



خلاصة الدرس

- أمانة الله عز وجل عبارة عن الالتزام بأحكامه، وأمانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الالتزام بسنّته، وأمانة المؤمنين من الأموال والأسرار، وأمانة المجتمع المسلم فيما يرتبط بمصالحهم.
- من مصاديق الخيانة: أ. خيانة العهد والميثاق سواء كان العهد مع الله عز وجل أو مع الناس. ب. خيانة الأمانات المادية التي يودعها الإنسان عند الآخرين. ج. خيانة الحقوق.
- من خيانة الحقوق: عدم كتمان السر، التقصير في أداء حق الأخ، عدم النصيحة للمستثير.



أسئلة حول الدرس

١. كيف تتحق خيانة المجتمع المسلم؟
٢. لم كانت طاعة الشيطان خيانة للعهد الإلهي؟
٣. بيّن كيف يكون التقصير في حق الأخ خيانة.
٤. بيّن كيف يصدق على عدم النصح للمستشير الخيانة.

(١) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ١٥٢٨.



عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة.(١)

ولو أن أشياعنا - وفقهم الله لطاعته - على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهـم، لما تأخر عنهم اليمـن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسهم عنا إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.(٢)

---

(١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٢ ص ٥٧٧

(٢) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ ص ٣٢٥

الدرس السابع

المفاخرة بالإيمان

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]

قصة الآيات

ورد في بيان سبب النزول أنه بينما شيبة والعباس يتفاخران، إذاً مر بهما علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال: بماذا تتفاخران؟ فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد: سقاية الحاج . وقال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام . فقال علي عليه السلام : استحييت لكما، فقد أوتيت على صغري ما لم تؤتيا ! فقالا: وما أوتيت يا علي؟ قال: ضُربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله ! فقام العباس مغضباً يجر ذيله حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال: أما ترى إلى ما يستقبلني به

(١) (التوبة: الآيات ١٩ إلى ٢٢)

علـي؟ فقال: ادعوا لـي علياً، فدعي له، فقال: ما حملك على ما استقبلت به عمك؟ فقال: يا رسول الله ! صدمته بالحق، فمن شاء فليغضب، ومن شاء فليرض ! فنزل جبرائيل عليه السلام، فقال: يا محمد ! إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: أتل عليهم: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآيات . فقال العباس: إنا قد رضينا، ثلاث مرات[1].

ما هو الفخر؟

الفخـر هو التباهي وأن يرى الإنسان في نفسه من الصفات ما يجعله أفضل من الآخرين، فيرى لنفسه عليهم درجةً وأنه في مقام أعظم من مقامهم.

والفخـر هو أول ما أوقَع إبليس فـي المعصية، حيث افتخر على آدم إذ كان يرى أنه خُلق من نار وآدم خُلق من طين والنار أفضل، وهذا ما حدثّنا به أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله . . . فلعمر الله لقد فخـر على أصلكـم، ووقع في حسبكم، ودفع نسبكم . . . فـالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية[2].

الفخر من الآفات المهلكات

مـن الصفات السيئة التـي على المؤمن أن يتخلّى عنها، الحذر من أن يعيش في نفسـه حالة من الفخر، يرى فيهـا أنه أفضل من الآخريـن، فيفتخر عليهم بذلك، فـإنّ هـذا يكون من المهلكات التي تودي به إلى جهنـم لأنّها تكون سبيلاً في تدمير إيمانـه، وقد ورد فـي الرواية عن الإمـام علي عليه السلام : أهلك النـاس اثنان: خوف الفقر، وطلب الفخر[3].

وذلـك لأن الفخـر يصل بالإنسان إلى مقام من لا يحبه الله عز وجل بنص الآية

(١) - تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ٥ - ص ٢٧ — ٢٨.

(٢) - نهج البلاغة، الخطبة المعروفة بالقاصعة، الخطبة رقم ١٩٢.

(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٩ ص ٣٩ .

الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(١)

بـل يصف الله عـز وجل هذه الدنيـا مستهيناً بها بأنها لعب ولهـو وتفاخر، قال تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾(٢)

أولا ـ أسباب وقوع الإنسان في الفخر

١. الرئاسة

ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: آفة الرياسة الفخر(٣).

فمـن يتولّى مسؤولية مـن المسؤوليات يظن من نفسه أنـه أفضل من الآخرين، وأنه ما نال ذلك إلا بفضل ما يملكه من صفات حسنة وميزات أهلّته لهذا المنصب، وهـذا خطأ لأن الكثير من أمثاله يستحقون هذا المقام وليس له أن يفتخر على من هو مثله بأنّ وفقه الله لأن يكون في خدمة غيره.

٢. الضعة

من الأسباب التي قد تؤدي إلى وقوع الإنسان في الفخر، أن يكون وضيعاً، صغير القـدر، لا يملك مـن الصفات ما يجعله علـى مستوى الناس العاديـيـن، بل هو أقل منهـم، ولكنه تعويضاً منه عن هذا النقص الـذي يعيشه يلجأ إلى الفخر والتفاخر على الآخرين بما يتوهم أنه من الأمور الحسنة.

ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: الافتخار من صغر الأقدار(٤).

٣. الحمق

الحمق هو أن يرى الإنسان نفسه على صواب وهو يفعل الخطأ، فيرى لنفسه الفضل

---

(١) لقمان: ١٨

(٢) الحديد: ٢٠

(٣) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٨٥.

(٤) - جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ١٤ ص ٧٣.

وهو لا يملكه، ومن أعظم أسباب الفخر هو الحمق: لا حمق أعظم من الفخر[١].

٤. الحسب

كثيــر من الناس يفتخــر بحسبه ونسبه، فيفتخر الواحــد بآبائه وأجداده، وهو لا يحمــل من الفضل شيئاً في نفسه، وقد ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ: آفة الحســب الافتخــار[٢]

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام، بعد تلاوته ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: أفبمصارع آبائهم يفخرون! أم بعديد الهلكى يتكاثرون! يرتجعون منهم أجساداً خوت، وحركات سكنت، ولأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً[٣].

ثانيا ـ كيف نعالج الفخر؟

ورد في الروايات أن طريق علاج الفخر، أن يعمد الإنسان إلى الرجوع إلى أصله وحقيقتــه ليرى أنــه لا يملك شيئاً في هذا الكون بل هو مجرد نطفة ماء عاجزة لولا أن الله أعطاه ما أعطاه مما يملكه من مواهب.

ففــي رواية عن الإمــام الباقر عليه السلام: عجبــاً للمختال الفخــور! وإنما خلق من نطفة ثم يعود جيفةً وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يُصنع به[٤].

وبهــذا المضمون روايــة أخرى عن الإمام زين العابديــن عليه السلام: عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفةً ثم هو غداً جيفة[٥].

ثالثا ـ ما يصح الفخر به

من الفخــر ما يكون ممدوحاً ومطلوباً، وذلك عندمــا يفتخر الإنسان بما يحمله من صفات هي بنظر الشارع صفات مرغوبة ومطلوبة، ونتعرض لها هنا:

---

(١) - عيون الحكم والمواعظ - علي بن محمد الليثي الواسطي - ص ٥٣٧.
(٢) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٣٢٨.
(٣) - نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٢١.
(٤) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٣٢٩.
(٥) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٣٢٨.

١. العبودية لله عز وجل

مــن عظمــة مقام العبودية لله أن النبي ﷺ كان يفتخــر به. وها نحن نشهد في الصلاة في كل يوم بقولنا «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

وورد فــي مناجــاة لأمير المؤمنيــن عليه السلام قال: إلهي كفى لي عــزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً[١].

وإنمــا كان ذلك لأن الإنسان الذي يصل إلى مقام العبودية فقد وصل إلى الغاية التي خلق لأجلها حيث يقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[٢]

٢. الطاعة

مما يفتخر به المؤمن أن يحمل عقيدة صحيحة هي عقيدة الإيمان بولاية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام. وقــد ألحق بذلك العمل الصالح، أي قرن إيمانه بعمله، وهو مــا وردت به الرواية عن الإمام الصــادق عليه السلام: ثلاث هن فخر المؤمن وزينة في الدنيــا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس، وولايته الإمام من آل محمد ﷺ.[٣]

٣. التقوى

قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[٤].

إذا نــال الإنسان مكانة أن يكون أكرم الناس عند الله، فحقّ له أن يفتخر بذلك، لأنه يفتخر بما عند الله، وقد ورد في الآية ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾[٥]، إذاً، يفتخر هو بما هو باقٍ عند الله عز وجل.

٤. الجهاد

---

(١) - الخصال - الشيخ الصدوق - ص ٤٢٠.

(٢) الذاريات: ٥٦

(٣) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٨ ص ٢٣٤.

(٤) الحجرات: ١٣

(٥) النحل: ٩٦

هـو من أعظم الفرائض التي كتبها الله علـى الناس، وقد وردت الروايات ببيان عظـم فضل المجاهدين، ففـي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خير الناس رجل حبس نفسه في سبيل الله يجاهد أعداءه يلتمس الموت أو القتل في مصافه[١].

وورد فـي نهج البلاغة في كتاب من الإمام علي عليه السلام إلى معاوية: ألا ترى غير مخبر لك، ولكن بنعمة الله أحدث، أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولـكل فضل، حتى إذا استشهد شهيدنـا قيل سيد الشهداء، وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبعيـن تكبيرة عند صلاته عليه ؟ أولا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله، ولـكل فضـل، حتى إذا فُعـل بواحدنا ما فُعـل بواحدهم قيل الطيار فـي الجنة وذو الجناحيـن؟ ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المـرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمةً تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين ...[٢].



خلاصة الدرس

- الفخر هو أن يرى الإنسان لنفسه من الفضل ما يتباهى به على الغير.
- الفخر طريق من طرق تدمير الإيمان ولذا كان من المهلكات.
- مـن أسبـاب وقوع الإنسان في حالـة الفخر: ١. الرئاسة؛ ٢. الضعـة؛ ٣. الحمق؛ ٤. الحسب.
- علاج الفخر بتدبر الإنسان في حقيقة ما يملكه ويرى عجز نفسه.
- ما يصح الفخر به هو: ١. العبودية لله عز وجل؛ ٢. الطاعة؛ ٣. التقوى؛ ٤. الجهاد.

(١) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٤٤٥.

(٢) - نهج البلاغة - الكتاب ٢٨.



١ـ لماذا كان الفخر من المهلكات؟

٢ـ اذكر سبباً من الأسباب الموجبة للوقوع في الفخر شارحاً له بالتفصيل.

٣ـ لماذا كانت العبودية مما يصح به الفخر؟

٤ـ هل يصح من الإنسان أن يفتخر بعقيدته الصحيحة؟



ومن كلام له عليه السلام بعد تلاوته « ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾

« يا له مراماً ما أبعده، وزوراً ما أغفله، وخطراً ما أفظعه . لقد استخلوا منهم أي مدكر، وتناوشوهم من مكان بعيد. أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خوت، وحركات سكنت . ولئن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً، ولئن يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزة. لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة . وضربوا منهم في غمرة جهالة . ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية لقالت: ذهبوا في الأرض ضلالاً، وذهبتم في أعقابهم جهالاً . تطأون في هامهم، وتستثبتون في أجسادهم، وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خربوا، وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم، أولئكم سلف غايتكم، وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكاً وسوقاً . سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلطت الأرض

عليهم فيه، فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جمـاداً لا ينمـون، وضماراً لا يوجدون. لا يفزعهـم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكر الأحـوال، ولا يحفلون بالرواجف، ولا يأذنـون للقواصف. غيباً لا ينتظرون، وشهوداً لا يحضـرون . وإنما كانـوا جميعاً فتشتتوا، وآلافاً فافترقـوا. وما عن طول عهدهم ولا بعـد محلهـم عميـت أخبارهم وصمـت ديارهم ، ولكنهـم سقوا كأسـاً بدلتهم بالنطـق خرساً، وبالسمع صمماً، وبالحركات سكونـاً . فكأنهم في ارتجال الصفة صرعـى سبات. جيران لا يتأنسون، وأحباء لا يتزاورون . بليت بينهم عرى التعارف وانقطعـت منهم أسبـاب الإخاء . فكلهـم وحيد وهم جميع . وبجانـب الهجر وهم أخـلاء. لا يتعارفـون لليـل صباحاً ولا لنهار مسـاءً . أي الجديديـن ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً.[١]

(١) نهج البلاغة – الإمام علي بن أبي طالب – الخطبة رقم ٢٢١ .

الدرس الثامن

الرقابة الإلهية والرقابة الذاتية

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً * وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1]

قصة الآيات

أن في قبيلة بني الأبيرق المعروفة نسبياً كان ثلاثة أشقاء هم «بشر» و «بشير» و «مبشر» سطا أحدهم وهو «بشير» على دار أحد المسلمين ويدعى «رفاعة» فسرق سيفه ودرعه وكمية من الغذاء، فأُخبر النبي ﷺ بالواقعة. ولكن الأشقاء الثلاثة اتهموا شخصاً من المسلمين اسمه «لبيد» الذي كان يسكن في دار واحد معهم، فتألّم لبيد ألماً شديداً من هذه التهمة الباطلة واستلّ سيفه وتوجه إلى الأشقاء

(١) النساء: الآيات من ١٠٨ إلى ١١٢.

الثلاثة صارخاً في وجوههم قائلا: « أتتهمونني أنا بالسرقة وأنتم أجدر بهذا العمل؟ فأنتم هم أولئك المنافقون الذين كنتم تهجون النبي وتنسبون أبيات الهجو إلى قريش، فإما أن تثبتوا ما تنسبونه لي من تهمة، أو أن أهوي بسيفي على رؤسكم» . فلما رأى أخوة السارق ذلك حاولا استرضاء « لبيد » ولكنهما لما علما أن القضية قد وصلت إلى أسماع النبي لجأ إلى أحد متكلمي قبيلتهم فطلبوا منه أن يذهب مع جمع من الناس إلى النبي ويتظاهر بأن الحق إلى جانبهم ليبرئ السارق ويتهم من أخبر النبي بتلفيق التهمة على شقيقهما، وقد قبل النبي ﷺ . استناداً إلى واجب العمل بظاهر الأمور. شهادة تلك المجموعة وأنب من جاءه بالخبر على عمله . وقد تألم ذلك الشخص الذي كان يعرف نفسه بريئاً ... فنزلت الآيات المذكورة لتعلن براءة الرجل، وتؤنب مرتكبي الخيانة الحقيقيين[١].

الرقابة الإلهية

إن ما يحتاج إليه أي قانون حتى يثمر ويصل الناس إلى الغرض الرئيسي من إقراره هو الرقابة على من يتخلّف عن القانون لمعاقبته. وعنصر الرقابة هذا في القوانين الموضوعة من قبل البشر يكون ضعيفاً، لأن الرقابة تكون بشرية، وهي مما يمكن أن يتم اختراقه من جهات عدّة، فينجو المجرم من العقاب فيها.

ولكن القانون الإلهي المنزل للبشرية يتمتع بالرقابة الإلهية، وهذه الرقابة تملك صفاتٍ خاصةً لا ينالها أي قانون آخر، وتتمثل في:

١. أنها عامة تشمل كل شيء ولذا يصفها الله عز وجل بالتالي: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾[٢].

٢. أنها لا تحيط بها موانع تعيق قيامها أو تحققها، ونحن نقرأ في دعاء كميل: فأسألك بالقدرة التي قدرتها . . . أن تهب لي في هذه الليلة وفي هذه الساعة كل جرم أجرمته . . . وكل سيئة أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين الذين وكلتهم

(١) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٣ - ص ٤٣٦ – ٤٣٧.
(٢) الأحزاب: ٥٢

بحفظ ما يكون مني وجعلتهم شهوداً علي مع جوارحي وكنت أنت الرقيب علي من ورائهم والشاهد لما خفي عنهم.

٣. تعدد الشهود والرقباء، قال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾** [(١)].

الرقابة الذاتية لدى المسلم

مضافاً إلى ما تقدّم مما يمتاز به القانون الديني الإسلامي، فإن الإسلام سعى لتقوية عنصر الرقابة الذاتية لدى الإنسان المسلم. وهذا العنصر هو من أقوى ما يمكن أن يشكل ضمانةً لعدم اختراق القانون، لأنّ الإنسان الذي لا يمكنه أن يخفي عن نفسه ارتكابه للإثم أو مخالفته للشرع، وإن أمكنه أن يخفي ذلك عن الناس، أو أن ينسى الله عز وجل في لحظة من اللحظات، لن يُقدم على المخالفة وارتكاب الذنب.

في الرواية عن الإمام علي عليه السلام : اجعل من نفسك على نفسك رقيباً واجعل لآخرتك من دنياك نصيباً[(٢)].

وعنه عليه السلام : رحم الله عبداً راقب ذنبه وخاف ربه[(٣)].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام : من خلا بذنب فراقب الله تعالى ذكره فيه واستحيى من الحفظة غفر الله عز وجل له جميع ذنوبه وإن كانت مثل ذنوب الثقلين[(٤)].

---

(١) فصلت: الآيات من ١٩ إلى ٢٢.

(٢) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ١١٠٨ .

(٣) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ١٠٥١ .

(٤) - وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٥ ص ٢٢١ .

وأما كيـف تكون المراقبة، فيذكر علماء الأخلاق أنهـا تتحقق بأن يراقب نفسه عند الخوض في الأعمال، فيلاحظها بالعين اللائمة والمعاتبة، فإنها إن تُركت طغت وفسـدت، ثم يراقب كل حركـة وسكون، عالماً أن الله تعالى مطلـع على الضمائر، عالـم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم علـى كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف، كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف.

المراقبة في الطاعة والمعصية

عندمـا نتحدث عن ضرورة مراقبـة النفس، فلا يتوهمن أحد أن المراقبة تعني فقـط الحذر مـن الوقوع في المعاصـي والآثام، أي في الذنوب فقـط، بل المراقبة ينبغي أن تكون في ثلاثة مواطن:

١. المراقبـة في المعصية: بأن يفكّر الإنسان عندما يُقدم على أي فعل من الأفعال، فيحـذر مـن أن يكون فـي ذلك معصية الله عـز وجل. ولو زلت قدمـه فوقع في المعصية راقب نفسه فسعى لإظهار الندم والتوبة، وإذا كان لغيره حق عليه أعاد له حقه.

٢. المراقبة في الطاعة: فعندما يأتي بعبادة من العبادات أو طاعة من الطاعات وإن لم تكن عبادة، سعى لأن تكون خالصة لله عز وجل ولأن يقصد بها وجه الله، وأن يحـذر من الوقوع بعد الإتيان بهـا بما يوجب بطلانها، كما لو أحسن إلى إنسان، ثم ابتدأ بالمنّة عليه وإظهار ما له من الفضل عليه. فإن طاعته تذهب هباء.

قـال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُـواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَـنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِـقُ مَالَـهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَـلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُـرَابٌ فَأَصَابَـهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَـى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[١]

(١) - البقرة: ٢٦٤ .

و (المن): أن يرى نفسه محسناً، ومن ثمراته الظاهرة: الإظهار، والتحدث به، وطلب المكافأة منه، بالشكر والخدمة والتعظيم، و (الأذى): التعيير، والتوبيخ، والاستخفاف، والاستخدام، والقول السيّىء، وتقطيب الوجه.

والتشبيه الوارد في الآية هو بأن تتصور قطعة حجر صلد تغطيه طبقة خفيفة من التراب، وقد وُضعت في هذا التراب بذور سليمة، ثم عُرض الجميع للهواء الطلق وأشعة الشمس، فإذا سقط المطر المبارك على هذا التراب لا يفعل شيئاً سوى اكتساح التراب والبذور وبعثرتها، ليظهر سطح الحجر بخشونته وصلابته التي لا تنفذ فيها الجذور، وهذا ليس لأن أشعة الشمس والهواء الطلق والمطر كان لها تأثير سيىء، بل لأنَّ البذر لم يزرع في المكان المناسب، ظاهر حسن وباطن خشن لا يسمح بالنفوذ إليه، قشرة خارجية من التربة لا تعين على نمو النبات الذي يتطلب الوصول إلى الأعماق لتتغذى الجذور.

٣. المراقبة في المباحات: وذلك من خلال المواظبة على رعاية الآداب الشرعية في المباحات، فإن لكل فعل مباح من الأكل، الشرب، النوم، السفر ... إلخ، آداباً خاصةً إذا سعى الإنسان للمحافظة عليها تمكن من أن يكون من المراقبين لأنفسهم(١).



- كل قانون تتوقف الفائدة المرجوة منه على وجود رقابة تشرف على تطبيق القانون.

- تمتاز الرقابة في القانون الإلهي بميزات لا تجدها في قانون آخر وتتمثل بـ: أ.

(١) - جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ٣ - ص ٧٦

أنهـا عامـة وتشمل كل شـيء، ب. أنها لا تحيط بها أية موانـع، ج. تعدد الشهود والرقباء.

ـ حث الإسلام على تربية عنصر الرقابة الذاتية لدى المسلم.

ـ المراقبـة علـى أنواع ثلاثة: أ. المراقبـة في المعصيـة؛ ب. المراقبة في الطاعة، بعدم إبطالها، ج. المراقبة في المباحات، برعاية آداب العمل.



أسئلة حول الدرس

١. لمَ يتوقف القانون على وجود رقابة على تنفيذه؟

٢. ما هي ميزات الرقابة الإلهية؟

٣. كيف تفسر الرقابة الذاتية في الطاعات؟

٤. كيف تفسر الرقابة الذاتية في المباحات؟



للمطالعة

فـي الحديـث القدسي: (إنّما يسكـن جنات عدن، الذيـن إذا هموا بالمعاصي ذكـروا عظمتي فراقبونـي، والذين انحنت أصلابهم مـن خشيتي، وعزتي وجلالي ! إنـي لأهـم بعذاب أهل الأرض، فإذا نظرت إلى أهـل الجوع والعطش من مخافتي صرفـت عنهم العـذاب) . وحكـي: (أن زليخا لما خلـت بيوسف عليه السلام ، فقامت وغطـت وجـه صنمها، فقال يوسف عليه السلام : مـا لك؟ أتستحيين مـن مراقبة جماد ولا أستحيـي من مراقبة الملك الجبار؟ !) . وهـذه المعرفة - أعني معرفة اطلاع

الله علــى العباد وأعمالهم وسرائرهم وكونه رقيبــاً عليهم - إذا صارت يقيناً - أي خلت عن الشك - ثم استولت على القلب سخرت القلب وقهرته على مراعاة جانب الرقيــب وصرفت الهمــة إليه. والموقنون بهــذه المعرفة مراقبتهــم على درجتين: إحداهمــا مراقبة المقربين، وهي مراقبة التعظيم والإجلال، وهي أن يصير القلب مستغرقــاً بملاحظة الجلال، ومنكسراً تحــت الهيبة، فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلــى الغيــر، وهذا هو الذي صار همــه هماً واحداً، وكفاه سائــر الهموم، وأخراهما مراقبــة الورعين من أصحاب اليمين، وهم قــوم غلب عليهم يقين اطلاع الله على ظهورهم وبواطنهم، ولكــن لا تدهشهم ملاحظة الجلال والجمال بل بقيت قلوبهم علــى حد الاعتدال متسعــةً للالتفات إلى الأحوال والأعمــال والمراقبة فيها، وغلب عليهــم الحياء من الله، فلا يقدمــون ولا يجمحون إلا بعد التثبت، ويمتنعون عن كل مــا يفتضحون به فــي القيامة، فإنهم يــرون الله مطلعاً عليهم، فــلا يحتاجون إلى انتظــار القيامــة . ثم ينبغي للعبد ألا يغفــل عن مراقبة نفســه والتضييق عليها في لحظة من حركاتها وسكناتها وخطراتها وأفعالها.[١]

(١) جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ٣ - ص ٧٦

الدرس التاسع

حصانة المسلمين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1].

قصة هاتين الآيتين

عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: وكانت هذه اللفظة: (راعنا) من ألفاظ المسلمين الذين يخاطبون بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقولون: راعنا، أي إرع أحوالنا، واسمع منا كما نسمع منك. وكان في لغة اليهود معناها: اسمع، لا سمعت. فلما سمع اليهود المسلمين يخاطبون بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون: راعنا، قالوا: إنا كنا نشتم محمداً إلى الآن سراً، فتعالوا الآن نشتمه جهراً. وكانوا يخاطبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون: راعنا، ويريدون شتمه. ففطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله، أراكم تريدون سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوهمونا أنكم تجرون في مخاطبته مجرانا، والله لا سمعتها من أحد منكم إلا ضربت عنقه،

(١) البقرة: ١٠٤- ١٠٥.

ولـولا أنـي أكره أن أقدم عليكـم قبل التقدم والاستيذان لـه ولأخيه ووصيه علي بن أبـي طالـب عليه السلام القيم بأمور الأمة نائباً عنه فيهـا، لضربت عنق من قد سمعته منكـم يقـول هذا . فأنـزل الله: يا محمد **﴿مِّـنَ الَّذِينَ هَـادُواْ يُحَرِّفُـونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِـي الدِّيـنِ** – إلى قوله – **فَـلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**، وأنزل **﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُـواْ رَاعِنَـا﴾** يعني فإنها لفظة يتوصل بها أعداؤكم من اليهود إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشتمكم، وقولوا: (انظرنا)، أي قولوا بهذه اللفظة، لا بلفظة راعنا، فإنه ليس فيها ما في قولكـم: راعنا، ولا يمكنهم أن يتوصلوا بها إلى الشتم كما يمكنهم بقولهم راعنا (واسمعوا) إذا قال لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وأطيعوا[1].

حصانة المسلمين

تتحدث أنّ على المسلمين أن لا يوفروا للأعداء فرصة الطعن بهم، وأن لا يتيحوا لهم بفعل أو قول ذريعة يسيئون بها إلى الجماعة المسلمة . عليهم أن يتجنبوا حتى ترديـد عبارة يستغلها العدو لصالحه . الآية[2] تصرح بالنهي عن قول عبارة تمكن الأعـداء من أن يستثمـروا أحد معانيها لتضعيـف معنويات المسلميـن، وتأمرهم باستعمـال كلمـة أخرى غيـر تلك الكلمة القابلـة للتحريف ولطعـن الأعداء . حين يشـدد الإسلام إلـى هذا الحد في هـذه المسألة البسيطة، فـإن تكليف المسلمين فـي المسائل الكبرى واضـح، عليهم في مواقفهم من المسائـل العالمية أن يسدوا الطريق أمام طعن الأعداء، وأن لا يفتحوا ثغرة ينفذ منها المفسدون في الداخل او الأعداء من الخارج للإساءة إلى سمعة الإسلام والمسلمين[3].

ـ الحذر من الغفلة عن الأعداء

(١) – تفسير الإمام العسكري عليه السلام – المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام – ص ٤٧٨ – ٤٧٩.

(٢) الآية ١٠٤ من سورة البقرة.

(٣) – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج ١ ص ٣٢٥

ورد فـي العديد من الروايات الحث على اليقظـة التامة من العدو، وعدم الغفلة عنــه، فــي كل صغيرة وكبيرة، ففي الرواية عن الإمــام علي عليه السلام: من نام لم يُنم عنــه[١]. فالعدو دائم الترصد لــك، فإن غفلت عنه باغتك، ولذا ورد وصف من يقع فــي ذلك بأنه من عظيم العجز، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: والله إن امرأ يمكّن عدوه من نفسه يعرق لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه[٢].

ـ الصلح لا يمنع الحذر

ولـو صالحــت عدواً لــك، نتيجة مــا تفرضه بعض الظـروف، فإنّ هــذا لا يعني إطلاقاً أن تغفل عن هذا العدو أو تأمن جانبه، ففي عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر يقول: لا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعةً لجنــودك، وراحةً من همومــك، وأمناً لبلادك، ولكن الحــذر كل الحذر من عدوك بعــد صلحــه، فإن العدو ربمــا قارب ليتغفل، فخــذ بالحزم، واتهم فــي ذلك حسن الظن[٣].

ـ الصحيح سوء الظن بالأعداء لا حسن الظن بهم

ورد الحــث في الروايات علــى حسن الظن بالناس، بل ورد النهي عن سوء الظن بهــم، إلا في مواطن خاصة، فإن سوء الظــن يصبح مطلوباً، وذلك كما في مواطن الاحتراس من العدو، فعن الإمام الحسن عليه السلام: الاحتراس من الناس بسوء الظن، هو الحزم[٤].

وهــذا القــرآن الكريم عندما يتعرّضــ بالتعليم لطريقة القتــال، ينبّه المؤمنين المجاهديــن على ضرورة الحذر من الاعــداء مبيناً كيف يتحينون الفرص لمباغتة

(١) - نهج البلاغة، الكتاب رقم ٦٢، كتابه إلى أهل مصر.

(٢) - نهج البلاغة، الخطبة ٣٤.

(٣) - نهج البلاغة، عهد الإمام لمالك الأشتر.

(٤) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٥ ص ١١٥.

المسلمين، قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾[1].

تربية أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم

لقد كانت العيون تترصد شيعة أهل البيت عليهم السلام تريد النيل منهم والنقيصة فيهم، وذلك لانتسابهم للأئمة، حيث لم يجد أعداء أهل البيت عليهم السلام مجالاً للطعن على الأئمة بشيء، فأرادوا الطعن بهم من خلال الطعن بشيعتهم وأتباعهم وأنصارهم، ولذا ورد تحذير الأئمة عليهم السلام لشيعتهم من ذلك وتربيتهم على الحذر من ارتكاب بعض ما يكون باباً للتشنيع عليهم وعلى الأئمة، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: يا معشر الشيعة إنكم قد نُسبتم إلينا، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً[2].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيئاً، قولوا للناس حسناً، احفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضول وقبيح القول[3].

كما بيّنت روايات أخرى أنّ فائدة هذا هي الاقتراب بالناس من الأئمة عليهم السلام، وجعل قلوب الناس تهوى الأئمة لما ترى من الشيعة من حسن الخلق، والآداب، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: يا عبد الأعلى . . . فاقرئهم السلام ورحمة الله - يعني الشيعة - وقل: قال لكم: رحم الله عبداً استجرَّ مودة الناس إلى نفسه وإلينا، بأن يظهر لهم ما يعرفون ويكف عنهم ما ينكرون[4].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: رحم الله عبداً حببنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم، أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعز، وما استطاع أحد أن يتعلق

(١) النساء: ١٠٢
(٢) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨٥ ص ١١٩.
(٣) - وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٢ ص ١٩٤
(٤) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢ ص ٧٧.

عليهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشراً[1].

وفي هذه الرواية نجد بوضوح كيف يبيّن الإمام عليه السلام أن ما يجب على الشيعة الحــذر منه أن يتعلق أحد عليهم بشيء، أي أن يبدأ بتوجيه أصابع الذم إليهم بفعل مــن أفعالهم، فالفعل الصغير قد يضخمه الأعــداء فيصبح فعلاً عظيماً، وباباً من أبــواب الذم والطعن من قبــل الأعداء، ولذا لا بد وأن تكــون درجة الحذر أعلى في الموارد التي يكون الإنسان فيها في مرمى نظر الأعداء.



. من مصاديق تمكين الأعداء من المسلمين فتح الباب أمامهم للطعن فيهم.

. مــن أعظم العجز الغفلــة عن أعداء الدين بما يتيح لهم الفرصة للانقضاض على المسلمين.

. القاعدة والأصل هي سوء الظن بأعداء الدين والمسلمين.

. سعــى أهل البيت عليهم السلام لتربية أصحابهم على الحذر مــن فتح الباب لأعداء أهل البيت للطعن في الشيعة، وهذا ما وردت به الروايات العديدة.



١. ما هي عاقبة الغلفة عن الأعداء طبقاً لما ورد في الروايات؟

(١) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٨ ص ٢٢٩ .

٢. فسّر قول الإمام علي عليه السلام : فخذ بالحزم واتهم بذلك حسن الظن.

٣. كيف يمكن للأعداء استغلال صغائر الأمور للطعن على المسلمين؟

٤. فسر قول الإمام الصادق عليه السلام : كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً.



قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1].

ورد في سبب نزول الآية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل مع عدد من المسلمين أرض الحديبية - وهم في طريقهم إلى مكة - فسمعت قريش بذلك فبعثت بخالد بن الوليد على رأس زمرة من مئتي شخص لاعتراض طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين الذين معه ومنعهم من الوصول إلى مكة، فاستقر خالد والذين رافقوه في الجبال القريبة من مكة . ولما كان موعد صلاة الظهر، أذّن بلال، فصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين جماعة، فشاهد خالد بن الوليد صلاة المسلمين ففكر في خطة للهجوم على المسلمين، وأخبر جماعته أن يغتنموا فرصة أداء المسلمين لصلاة العصر التي يعتبرونها أعز عليهم من أعينهم، فيباغتونهم بهجوم خاطف وهم في الصلاة ويقضون عليهم . وفي هذه الأثناء نزلت الآية بحكم صلاة الخوف التي تصون

(١) النساء: ١٠٢

المسلميــن من كل هجــوم خاطف . وهذه الآية إحدى معاجــز القرآن الكريم حيث أخبرت عن وقوع هجوم قبل قيام العدو بتنفيذه وبذلك أفشلت خطة العدو.[١]

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢ - ص ٤٢٤ - ٤٢٥

الدرس العاشر

من المظالم: تحقير المؤمنين

﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ[2] مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[3]

قصة هاتين الآيتين

ورد في كتب التفسير في بيان سبب نزول الآية الأولى أنه كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يسمون أصحاب الصفة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم أن يكونوا في صفة يأوون إليها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعاهدهم بنفسه، وربما حمل إليهم

(١) الأنعام: ٥٢

(٢) - المعنى احبس نفسك وكن معهم.

(٣) الكهف: ٢٨

ما يأكلون، وكانوا يختلفون إلى رسول الله ﷺ فيقربهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه ينكرون عليه ذلك، و يقولون له: اطردهم عنك، فجاء يوماً رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وعنده رجل من أصحاب الصفة قد لزق برسول الله ﷺ، ورسول الله يحدثه، فقعد الأنصاري بالبعد منهما، فقال له رسول الله ﷺ: تقدم، فلم يفعل، فقال له رسول الله ﷺ: لعلك خفت أن يلزق فقره بك؟ فقال الأنصاري: اطرد هؤلاء عنك، فأنزل الله: «ولا تطرد الذين يدعون ربهم»[1].

وورد في بيان سبب نزول الآية الثانية: أنه جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصين الفزاري، وذووهما من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال، وصهيب، وعمار، وخباب، في ناس من ضعفاء المؤمنين، فحقروهم، وقالوا: يا رسول الله ! لو نحيت هؤلاء عنك، حتى نخلو بك، فإن وفود العرب تأتيك، فنستحي أن يرونا مع هؤلاء الأعبد، ثم إذا انصرفنا، فإن شئت فأعدهم إلى مجلسك ! فأجابهم النبي ﷺ إلى ذلك، فقالا له: أكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً، فدعا بصحيفة وأحضر علياً ليكتب، قال: ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبرائيل عليه السلام بقوله (ولا تطرد الذين يدعون) إلى قوله (أليس الله بأعلم بالشاكرين) فنحى رسول الله ﷺ الصحيفة، وأقبل علينا، ودنونا منه، وهو يقول: كتب ربكم على نفسه الرحمة، فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) الآية . قال: فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا، ويدنو حتى كادت ركبتنا تمس ركبته، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها، قمنا وتركناه، حتى يقوم، وقال لنا: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا، ومعكم الممات[2].

---

(١) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٧ - ص ٨١ - ٨٢

(٢) - تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ٤ - ص ٦٢ .

أولاً ـ تحقير المؤمن ظلم

مـن الأمراض الأخلاقية التي قد يُبتلى بها الإنسـان المؤمن أن يعيش حالة من التحقير للمؤمنين متفضلاً عليهم بما يراه في نفسه مما يفتقده غيره. وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسب ابن آدم من الشر أن يحقر أخاه المسلم[1].

بل من عظم هذا الذنب أن جعل الله عز وجل تحقير المؤمن في حد محاربة الله عز وجل، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: قال الله عز وجل: ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن[2].

ثانياً. عقوبة تحقير المؤمن

نظراً لعظم هذا الذنب عند الله عز وجل فإنّ ما ورد في الروايات من بيان لعقوبة هذا الذنب والآثار التكوينية المترتبة عليه عظيم جداً، فلنلحظ هذه الروايات:

أ. الرد من الله

إذا وقـع الإنسان في ذنـب تحقير المؤمن، فإن الرد علـى ذلك سوف يكون من الله عز وجل، وذلك لأن المؤمن قد لا يستطيع أن ينتصر لنفسه ممن حقّره، فيكون العقـاب إلهياً، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: من حقر مؤمناً مسكيناً لم يزل الله له حاقراً ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه[3].

ب. الفضيحة والتشهير

من العقوبات التي ينالها من يُمارس التحقير بالناس أن ينقلب الأمر عليه، وذلك بفضيحـة الله عـز وجل لـه على فعله، ففـي رواية عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من استذل مؤمنـاً أو مؤمنـة، أو حقره لفقـره أو قلة ذات يده، شهره الله تعالـى يوم القيامة ثم

(١) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٦٥٢ .
(٢) - ثواب الأعمال - الشيخ الصدوق - ص ٢٣٨ .
(٣) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٣٥١ .

يفضحه[١].

وهكذا نشهد كيف ان الروايات تجعل العقوبة من الله عز وجل، حيث يكون الانتقام والانتصار للمؤمن من الله عز وجل مباشرة، فقد ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى يقول: من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي[٢].

ثالثاً. كيف نعالج هذا المرض الأخلاقي؟

كما بيّنت الرواية عظم هذا المرض الأخلاقي، وضرورة تجنّبه، بينّت الروايات طرق علاجه، وكيفية الخلاص منه، وهذه الطرق تتمثل بالتالي:

أ. العبودية المشتركة

إذا تأمل الإنسان قليلاً في الشخص الذي يحتقره فسوف يجد أنه يشترك معه في العبودية لله عز وجل، فما معنى أن يحتقره؟ لا بد وأن يكون احتقاره له لأمر غير صحيح، ففي الرواية عن لقمان عليه السلام - لابنه -: يا بني لا تحقرن أحداً بخلقان ثيابه، فإن ربك وربه واحد[٣].

ب. الخطأ في معيار التفضيل

من الأسباب التي تؤدّي إلى وقوع الإنسان في هذا المرض الأخلاقي، الخطأ في معيار التفضيل، فهو يرى لنفسه من الصفات ما يجعله يعتقد نفسه أفضل من الغير، فيبدأ بتحقير ذلك الغير، مع أن واقع الحال أن ذلك الغير أفضل منه، ولو وضع الإنسان في باله دائماً هذا الاحتمال لأمكنه أن يحذر من الوقوع في هذه المعصية، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يزرأن أحدكم بأحد من خلق الله فإنه لا يدري أيهم ولي الله[٤].

---

(١) - وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٢ ص ٢٦٧.

(٢) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٣٥١.

(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٩ ص ٤٧.

(٤) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ ص ١٤٧.

ج. القيمة الحقيقية هي عند الله

إن القيمــة الحقيقية للإنسان هي عند الله عز وجل، فإذا كان الإنسان عند الله كبيــراً، فهذا هو الذي له حق أن يكون محلاً للاحترام، وتحقيره يكون خللاً وخطأً، فــإذا كانت قيمــة الإنسان عند الله عز وجــل بإيمانه، فلا ينبغــي أن يحقر مؤمناً، لأن هــذا المؤمن يكون كبيــراً عند الله، ففي الرواية: عنه صلى الله عليه وآله وسلم: لا تحقرن أحداً من المسلمين، فإن صغيرهم عند الله كبير[١].

كيــف وقد جعل الله الإيمان من أعظم الكرامــات؟ فكيف يقوم الإنسان بتحقير غيــره وهو من أهل الإيمان؟ ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من المؤمن لأن الملائكة خدام المؤمنين[٢].

بــل كيف تحتقر المؤمــن وأنت تدرك عظمة هذا المؤمــن عند الله، وهي أعظم من عظمة الكعبة المشرفة بيت الله عز وجل؟ ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلــى الكعبة فقال: مرحباً بالبيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك علــى الله! والله لَلمؤمن أعظــم حرمةً منك لأن الله حرم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: ماله، ودمه، وأن يُظن به ظن السوء[٣].



خلاصة الدرس

- تحقير المؤمنين في حد المحاربة لله عز وجل على ما وردت به الروايات.
- عقوبة تحقير المؤمن: أ. الرد من الله؛ ب. الفضيحة من الله للمحقِّر.

(١) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٦٥٢.
(٢) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٣٣.
(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٤ ص ٧١.



أسئلة حول الدرس

١. ما هو تعريف التحقير؟

٢. لماذا ينتصر الله عز وجل لعبده المؤمن؟

٣. كيف تشكل العبودية لله علاجاً لحالة التحقير؟

٤. كيف بيّن الرسول أن حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة؟



للمطالعة

معايير التقييم

مــن القضايا المهمة في حياة الأفــراد والمجتمعات هي قضية « معايير التقييم »و « نظــام القيم» الــذي يتحكم بثقافة ذلك المجتمــع . لأن كل الحركات الصادرة عــن الأفراد والجماعــات في حياتهم إنمــا تنبع من هذا النظام وتهــدف إلى خلق تلــك القيــم . واشتباه قوم مــن الأقوام وأمة مــن الأمم في هذه القضيــة والتعامل بقيــم خيالية لا أساس لها قد يؤدي إلى طبع تأريخهم بطابــع الغرور. عبيد الدنيا المغــرورون يتصورون بأن القيم تنحصــر فقط في المال والقدرة المادية والتعداد البشــري، وهناك نماذج كثيــرة من هذا القبيل تلاحظ في القــرآن الكريم، منها:

١ – فرعــون، الطاغية المتجبر، الذي كان يقول لمن حوله بأنه لا يصدق أن موسى عليه السلام رسول من الله، فإن كان حقاً ما يقول فلم لم يعطه الله سواراً من الذهب؟ فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب . وحتى أنّه يرى عدمها دليلاً على المهانة والدونية،

فيقول: أم أنا خير من هذا الذي هو مهين؟

٢ – مشركو عصر الرسالة المحمدية، تعجبوا من نزول القرآن على رجل فقير كرسول الله ﷺ وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم.

٣ – بنو إسرائيل اعترضوا على نبي زمانهم «أشموئيل» في قضية انتخاب «طالوت» كقائد للجيش وقالوا: نحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال.

٤ – مشركو زمان نوح عليه السلام الأثرياء اعترضوا عليه بأن اتبعه أراذلهم، وهم الفقراء في نظرهم، قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون؟

٥ – أثرياء مكة أوردوا نفس هذا الاعتراض على الرسول الأكرم ﷺ بقولهم: لقد أحاط بك الحفاة، ونحن نشمئز حتى من رائحتهم، فلا نتبعك إلا بابتعادهم عنك. لهذه الأسباب، كان أول عمل إصلاحي يقوم به الأنبياء هو تحطيم أطر التقييم الكاذبة تلك، واستبدالها بالقيم الإلهية الأصيلة والقيام بـ «ثورة ثقافية» أبدلوا أساس الشخصية ومحورها من الأموال والأولاد والثروة والجاه والشهرة القبلية والعائلة إلى التقوى والإيمان والعمل الصالح. فليس هناك شيء غير التقوى، والإيمان المقترن بالشعور بالمسؤولية، وصلاح العمل، ليس سوى ذلك معياراً لتقييم شخصية الإنسان وقربه من الله تعالى. وكل من كان له نصيب أكبر من ذلك كان إلى الله أقرب وعنده أكرم.[١]

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج ١٣ – ص ٤٦٤ – ٤٦٦

الدرس الحادي عشر

منطق التبرير

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾[1].

قصة هذه الآيات

قال جماعة من المفسرين: إن النبي ﷺ كان يعبئ المسلمين ويهيئهم لمعركة تبوك ويدعوهم للتحرك نحوها، فبينا هو على مثل هذه الحال إذا برجل من رؤساء طائفة «بني سلمة» يدعى «جد بن قيس» وكان في صفوف المنافقين، جاء إلى النبي ﷺ مستأذناً أن لا يشهد المعركة، متذرعاً بأن فيه شبقاً إلى النساء، وإذا ما وقعت عيناه على بنات الروم فربما سيهيم ولهاً بهن وينسحب من المعركة!! فأذن له النبي بالانصراف. فنزلت الآية أعلاه معنفة ذلك الشخص! فالتفت النبي ﷺ إلى بني سلمة وقال: من كبيركم؟ فقالوا: جد بن قيس، إلا أنه رجل بخيل وجبان،

(١) التوبة: الآيات من ٤٨ إلى ٥٠.

فقــال: وأي شيء أبشع من البخل؟ ثم قــال: إن كبيركم ذلك الشاب الوضئ الوجه بشر بن براء « وكان رجلاً سخياً سمحاً بشوشاً »[١].

منطق التبرير

منطـق التبريــر هو مــن الأمراض التي يُبتلــى بها الناس، ولعلــه يظهر بوضوح فــي التكاليف العامة، والتي نعبّر عنهــا بالواجبات الكفائية، كالجهاد، دفع الحقوق الشرعية، كفالة الأيتام وغير ذلك.

يلجأ الإنسان إلى التخلف عن القيام بواجبه، ولكنه يسعى ليقنع نفسه أولاً، وليقنع الآخرين ثانياً، بأنه لم يتخلف عن أي واجب، بل هو لم يقم بهذا الواجب لعذر يراه مبرراً، وهو غير مبرر في واقع الأمر. ولو رجع إلى قرارة نفسه، وخلا بنفسه لعلم أنـه مجرد تبرير ضعيف، يسعى من خلاله للتستر على مخالفته للواجب.

ولمنطـق التبرير هذا نماذجـه الكثيرة في مجتمعنا الإسلامــي، فتجد شخصاً موظفــاً فــي مكان ما، أو قــد أوكل إليه القيــام بمهمة من المهــام، ولكنه في نفسه يتقاعــس عن القيام بها، أو لا يرغب في ذلك، كسلاً منه أو لمشقتها، فيبدأ بتبرير ذلــك، بأن فلانــاً المتولي لمنصب من المناصب لا يقوم بها، أو أن أحد زملائه في العمــل لا يقــوم بها، وهــذا هو منطق التبريــر، ولكنه لا يلتفت من جهــة إلى أن من يتــذرع بهــم لعل لهم عذرهم أو لعــل عليهم واجبات أخرى، كمــا لا يلتفت من جهة أخــرى، إلى أنه لو وقع اولئك في التقصيــر والتخلف عن أداء الواجب فهذا لا يبرر له أن يقع في الأمر نفسه.

منطق التبرير، ذنب يضاف إلى ذنب

إن الشخصــ الــذي يسيطر عليــه منطق التبريــر، سوف يضيف إلــى معصيته

(١) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٦ ص ٧٣

وتخلفه عن أداء الواجب، معصيةً أخرى وذنباً آخر، فإنّه عندما يبرر ما يرتكبه من معصيــة أو ما يتخلف عنه فهو يدعو الغير إلــى أن يتخذ نفس ذلك المنطق، ليفعل مــا يفعله، ولــذا كانت المعصية التي يجاهر بها الإنســان أعظم من المعصية التي يتستــر بها، لأن المجاهرة بالمعصية يحمل دعوةً لسائر الناس لارتكابها، وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فيما رواه جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام) -: إن المعصيــة إذا عمــل بها العبد سراً لم تضر إلا عاملها، وإذا عمل بها علانية ولم يغيــر عليه أضــرت العامة. قال جعفر بن محمد عليهما السلام: وذلــك أنه يذل بعمله دين الله، ويقتدي به أهل عداوة الله[1].

منطق التبرير وانعدام التوبة

إن المذنــب المعتــرف بذنبه يفتح الله عز وجل له بــاب التوبة، فلو دخل في هذا البــاب لتمكن من أن يكفر عن ذنبه الــذي ارتكبه، ولكن المذنب الذي لا يقرّ بذنبه بــل يعتمد منطق التبرير لذنبه، فلن يدخــل من خلال التوبة للتكفير عن ذنبه، لأنّه ومن خلال منطق التبرير لا يقرّ بذنبه إطلاقاً، فكيف يتوب؟

ولذا نقرأ قوله تعالى: ﴿ **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** ﴾[2].

وورد عن لإمام الباقر عليه السلام: والله ما ينجو من الذنب إلا من أقر به[3].

بــل إنّ مــا ورد في الروايات يؤكد على أن الإقــرار بالذنب هو باب للمغفرة، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلا خصلتين: أن يقروا له بالنعم فيزيدهم وبالذنوب فيغفرها لهم[4].

---

(١) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ ص ١٩٤٧

(٢) - التوبة: ١٠٢ .

(٣) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٢٤١

(٤) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٢٤١

منطق التبرير والإصرار على الذنب

مــن أعظــم المخاطر التي يقع فيها المعتمد على منطــق التبرير، هو أن يقع في إثــم آخر وهو الإصرار علــى الذنب، فقد ورد في الرواية عــن الإمام علي عليه السلام: الندم استغفار، الإقرار اعتذار، الإنكار إصرار[1].

إن المصــر على ذنبه، والذي يسعى للتستر على ذنبه بمنطق التبرير، وهو يعلم يقيناً أن الله عز وجل لا تخفى عليه خافية، وأنه يعلم حقيقة ما يقوم به، يكون ممن يرتكــب إثمــاً كبيراً لأنه يأمن بذلــك من مكر الله، وقد ورد فــي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: الإصرار أمن، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون[2].

منطق التبرير والاستخفاف بالذنب

من المخاطــر أيضاً التي تحيط بمنطق التبرير، أن يعيش الذي يعتمد على هذا المنطــق حالة من الاستهانة والاستخفاف بالذنــب. وهذا ما ورد التحذير منه لأنه من المفاسد التي تجر الإنسان من معصية إلى أخرى، وفي يوم القيامة سوف يُسأل الانســان عن كل ما اقترفه صغيراً كان أو كبيــراً، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بن مسعود، لا تحقرن ذنباً ولا تصغرنه، واجتنب الكبائر، فإن العبد إذا نظر يوم القيامــة إلــى ذنوبه دمعت عيناه قيحاً ودماً، يقول الله تعالى ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً﴾[3].

فــلا بــد وأن يشعر الإنسان بالمسؤولية تجاه ما ارتكبه من ذنب، بل أن يشعر بثقل الذنــب وإن كان صغيــراً، ورد في الرواية عن رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه[4].

---

(١) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٢٤١

(٢) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ٩٩٣

(٣) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٤ ص ١٠١ .

(٤) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ٩٩١

بـل إنّ مــن التوفيق الإلهي الذي يحيــط بالإنسان أن يتذكر ذنبــه، وقد ورد عن رســول الله ﷺ: إن الله تبــارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً جعـل ذنوبه بين عينيه ممثلة والإثم عليه ثقيلاً وبيلاً، وإذا أراد بعبد شراً أنساه ذنوبه[1].



خلاصة الدرس

- منطق التبرير هو عبارة عن ارتكاب المعصية والمخالفة ثم تبرير ذلك للنفس عبر أعذار واهية.
- في منطق التبرير ذنب مضاعف لأن في ذلك دعوة للغير للاقتداء بفعله.
- الاعتراف بالذنب باب للتوبة وهو أمر يُحرم منه من يعتمد منطق التبرير.
- منطـق التبريــر يؤدي إلــى وقوع الإنسان فــي الإصرار علــى المعصية وهو من الأمن من مكر الله.
- منطق التبرير يؤدي إلى الاستخفاف بالذنب وهو من عظائم الذنوب.



أسئلة حول الدرس

١. عرّف منطق التبرير واضعاً مثالاً تشاهده في الناس من ذلك.
٢. كيف يؤدي منطق التبرير إلى إغلاق باب التوبة؟
٣. لماذا كان الذنب الذي يلجأ الإنسان إلى تبريره مضاعفاً؟
٤. ما هو الاستخفاف بالذنب وكيف يقع الإنسان فيه؟

(١) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ ص ٩٩١



هاروت وماروت ملكان إلهيان جاءا إلى الناس في وقت راج السحر بينهم وابتلوا بالسحرة والمشعوذين، وكان هدفهما تعليم الناس سبل إبطال السحر. وكما أن إحباط مفعول القنبلة يحتاج إلى فهم لطريقة فعل القنبلة، كذلك كانت عملية إحباط السحر تتطلب تعليم الناس أصول السحر، ولكنهما كانا يقرنان هذا التعليم بالتحذير من السقوط في الفتنة بعد تعلم السحر ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ . وسقط أولئك اليهود في الفتنة، وتوغلوا في انحرافهم، فزعموا أن قدرة سليمان لم تكن من النبوة، بل من السحر والسحرة . وهذا هو دأب المنحرفين دائماً، يحاولون تبرير انحرافاتهم باتهام العظماء بالانحراف . هؤلاء القوم لم ينجحوا في هذا الاختبار الإلهي، فأخذوا العلم من الملكين واستغلوه على طريق الإفساد لا الإصلاح، لكن قدرة الله فوق قدرتهم وفوق قدرة ما تعلموه: ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلّمون ما يضرّهم ولا ينفعهم﴾ . لقد تهافتوا على اقتناء هذا المتاع الدنيوي وهم عالمون بأنه يصادر آخرتهم ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾ . لقد باعوا شخصيتهم الإنسانية بهذا المتاع الرخيص ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . لقد أضاعوا سعادتهم وسعادة مجتمعهم عن علم ووعي، وغرقوا في مستنقع الكفر والانحراف ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾.[1]

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١ - ص ٣١٦

الدرس الثاني عشر

معيار العمل الصالح

﴿الَّذينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعينَ منَ الْمُؤْمنينَ في الصَّدَقَات وَالَّذينَ لا يَجدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ منْهُمْ سَخرَ اللَّه منْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ * اسْتَغْفرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفرْ لَهُمْ إن تَسْتَغْفرْ لَهُمْ سَبْعينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلكَ بأَنَّهُمْ كَفَرُوا باللَّه وَرَسُوله وَاللَّهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الْفَاسقينَ﴾[1].

قصة هاتين الآيتين

وردت عدة روايات في سبب نزول هاتين الآيتين في كتب التفسير والحديث، يستفاد من مجموعها أن النبي ﷺ كان قد صمم على إعداد جيش المسلمين لمقابلة العدو - وربما كان ذلك في غزوة تبوك - وكان محتاجاً لمعونة الناس في هذا الأمر، فلما أخبرهم بذلك سارع الأغنياء إلى بذل الكثير من أموالهم، سواء كان هذا البذل من باب الزكاة أو الإنفاق، ووضعوا هذه الأموال تحت تصرف النبي ﷺ. أما الفقراء، كأبي عقيل الأنصاري أو سالم بن عمير الأنصاري، لما لم يجدوا ما ينفقونه لمساعدة جنود الإسلام، عمدوا إلى مضاعفة عملهم، واستقاء

(١) التوبة: الآيتان ٧٩ و ٨٠.

الماء ليلاً، فحصلوا على صاعين من التمر، فادخروا منه صاعاً لمعيشتهم ومعيشة أهليهـم، وأتوا بالآخر إلى النبي ﷺ وقدموه، وشاركـوا بهذا الشيء اليسير ـ الذي لا قيمـة لـه ظاهراً ـ في هذا المشروع الإسلامي الكبيـر. غير أن المنافقين الذين لا هـم لهم إلا تتبع ما يمكن التشهير به بـدلاً من التفكير بالمساهمة الجدية عابوا كلا الفريقين، أما الأغنياء فاتهموهم بأنهم إنما ينفقون رياء وسمعة، وأما الفقراء الذيـن لا يستطيعون إلا جهدهم، والذين قدموا اليسيـر وهو عند الله كثير، فإنهم سخروا منهم بأن جيش الإسلام هل يحتاج إلى هذا المقدار اليسير؟ فنزلت هاتان الآيتان، وهددتاهم تهديداً شديداً وحذرتاهم من عذاب الله[١].

المعيار في قيمة العمل في الإسلام

أنـزل الله عز وجل شريعة الإسـلام ليبيّن للناس التعاليم التـي ينبغي أن تكون مُعتمَـدة من قبلهم في تقييم الأمور ومعرفة الحق من الباطل أو العمل المقبول من غير المقبول، أو معرفة العمل الأفضل من العمل المفضول.

فالمعيار الذي يسير عليه الناس هو أن من يقدّم أكثر هو صاحب الفضل الأكبر، ملاحظيـن في ذلك مجرد قضية أنه أكثر بذلاً أو أكثر عطاء، ولكنّ القرآن الكريم يرفضـ ذلك، مؤكـداً خطأ هذا المعيار، وهـذا هو المستفاد مـن الآيات المباركة المذكورة في هذا الدرس.

كمـا وردت الروايات العديدة التي تؤكد على أن العمل الأفضل عند الله عز وجل لا يرتبط بالكثرة فقط، بل يخضع لمعايير أخرى في التقييم.

العمل الأفضل عند الله

حتـى يوصف العمل بأنّه أفضل وموجب للتقرب أكثر من الله عز وجل، لا بد وأن تجتمع فيه صفات عدّة:

---

(١) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٦ - ص ١٣٩ - ١٤٠.

أ. الإخلاص

الإخلاص في العمل شرط في القبول وشرط في الوصول إلى الغاية الرئيسية التي يريدها الإنسان من العمل وهي التقرّب إلى الله عز وجل. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: الإخلاص غاية الدين(١).

كما ورد في الروايات بيان أن الاخلاص هو الموجب لكون العمل أفضل عند الله عز وجل، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين(٢).

بل لعل الصورة الظاهرية التي تبدو للناس أن النجاحات والانتصارات التي يكتبها الله عز وجل تنحصر العلة فيها بما يعدّه الإنسان بحسب الظاهر سبباً لذلك، ولكن الروايات وردت بأن بعض ما لا يراه الناس ولا يعدّونه سبباً للانتصارات هو السبب الحقيقي، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم(٣).

ب. العمل الصحيح

إذا كان المطلوب من العمل هو الوصول إلى غاية وهدف محدد، فإن العمل الذي يكون موصلاً إلى ذلك هو العمل الصحيح، لا العمل الكثير، فما على الإنسان أن يسعى إليه وأن ينظر إليه هو أن يكون عمله صائباً لا أن ينظر إلى الكثرة فقط، وهذا مضافاً إلى شهادة فطرة الإنسان ووجدانه بذلك، وردت به الروايات، فعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾: ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة(٤).

ج. العمل مع العلم

---

(١) - غرر الحكم: ٨٥١، ٧٤.

(٢) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٧٥٤.

(٣) - ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ ص ٧٥٥.

(٤) - بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٩٣ ص ١٥٠ حديث ٣.

من الأسباب التي ينبغي أن تلحظ في الحكم على العمل بأنّه أفضل عند الله عز وجل هو أن يصدر العمل عن علم، أي أن يكون العامل مدركاً لما يقوم به ولما يترتب على عمله من آثار ونتائج، ففي الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام: قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود[١].

وهذا يرجع إلى نفس ما ذكرناه سابقاً، فإن الغاية لما لم تكن هي مجرد العمل، بل الوصول من خلال العمل إلى نيل مقام القرب من الله عز وجل والوصول إلى غاية مراد المريدين فإن العلم هو من أهم أسباب الوصول إلى ذلك، ولذا ورد في الروايات وبألسنة متعددة بيان فضل العامل عن علم عن العامل عن جهل، بل وبيان أن القليل مع العلم أفضل وخير من الكثير مع الجهل، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ركعتان يصليهما العالم أفضل من ألف ركعة يصليها العابد[٢].

ورد في رواية أخرى تفضيل العمل القليل على الكثير إن كان الأول قريناً لليقين، فعن الإمام الصادق عليه السلام: العمل الدائم القليل على اليقين، أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: يأتي صاحب العلم قدام العابد بربوة مسيرة خمسمائة عام[٤].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر في عمله، خير من عبادة العابد سبعين عاماً[٥].

د. المداومة على العمل

---

(١) - تحف العقول - ابن شعبة الحراني - ٣٧٨.
(٢) - من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق- ج ٤ ص ٣٦٧ حديث ٥٧٦٢.
(٣) - بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٧١ ص ٢١٤ حديث ١٠.
(٤) - بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٢ ص ١٨ حديث ٤٨.
(٥) - روضة الواعظين - النيسابوري - ص ١٢.

مـن أسبـاب التفضيل بين الأعمـال، المداومة على العمـل وإن كان قليلاً، ففي الروايـة عن الإمام الباقر عليه السلام: أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما (داوم) عليه العبد، وإن قل[1].

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام - كان يقول -: إني أحب أن أدوم على العمـل إذا عودتنـي نفسي، وإن فاتنـي من الليل قضيته من النهـار، وإن فاتني من النهار قضيته بالليل، وإن أحب الأعمال إلى الله ما ديم عليها[2].

هـ. العمل الذي لا يلحقه الأذى

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾[3].

ذكـر في تفسير الأمثل في تفسير الآيـة الأولى: (تبين هذه الآية منطق الإسلام في قيمة الأشخاص الاجتماعية وكرامتهم، وترى أن أعمال الذين يسعون في حفظ رؤوس الأموال الإنسانيـة، ويعاملون المحتاجيـن باللطف ويقدمـون لهم التوجيه الـلازم، ولا يفشون أسرارهم، أفضل وأرفع من إنفاق أولئك الأنانيين ذوي النظرة الضيقـة الذين إذا قدموا عوناً صغيـراً يتبعونه تجريح الناس المحترمين وتحطيم شخصياتهم)[4].

فالعمـل قد يصدر عن نيـة خالصة ويكون مستجمعاً لشـروط القبول عند الله، ولكـن الإنسان يُلحقـه بما يُبطله، وقـد ورد في الرواية عن الإمـام الباقر عليه السلام: الإبقـاء علـى العمل أشد من العمل، قال - الـراوي -: وما الإبقاء على العمل؟ قال: يصـل الرجل بصلـة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فتكتـب له سراً، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانيةً، ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياءً[5].

---

(١) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٨٢ ح ٢.

(٢) - مستدرك الوسائل - المحدث النوري- ج ١ ص ١٢٩ حديث ١٧٥.

(٣) البقرة: الآيتان ٢٦٢ و ٢٦٣.

(٤) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢ ص ٢٩٩

(٥) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٢٩٦ حديث ١٦.



خلاصة الدرس

- يعتمد الناس معيار الكثرة لكون العمل أفضل، وهذا ما لا يقرّه الإسلام.
- العمل الأفضل عند الله عز وجل هو الذي يقترن بـ:

أ- الإخلاص

ب- الصحة

ج- العلم

د- المداومة

هـ- الخلو من الأذى.



أسئلة حول الدرس

١- لماذا كان الإخلاص من أسباب تفضيل العمل؟

٢- كيف تفسّر قوله تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾؟

٣- لماذا كان العمل من العالم أفضل من العمل من الجاهل؟

٤- ما هو المراد من الإبقاء على العمل؟



إن نـوع العمـل هو المهـم لا مقداره، وهـذه الحقيقة في القـرآن واضحة جلية، فالإسـلام لـم يستند فـي أي مورد إلى كثـرة العمل ومقداره، بل هـو يؤكد دائماً - وفـي كل المـوارد - علـى أن الأساس هو نوع العمـل وكيفيته، وهـو يولي الإخلاص فـي العمل أهميـةً خاصةً. والآيات المذكـورة نموذج واضح لهـذا المنطق القرآني . وكمـا رأينـا ... القرآن الكريـم مجدّ عملاً مختصراً لعامـل مسلم بقي يعمل إلى الصبـاح في استقاء الماء بقلب يغمره عشق اللّه ومحبته، وينبض بالمسؤولية تجاه مشـاكل المجتمع الإسلامـي ليحصل على صاع من تمر ويقدمـه لمقاتلي الإسلام فـي لحظات حساسة، وفي مقابل ذلك نرى القرآن قد ذم الذين حقروا هذا العمل الصغير ظاهراً، الكبير واقعـاً، وهددهم وأوعدهم بالعذاب الأليم الذي ينتظرهم . ومـن هذه الواقعة تتضح حقيقة أخرى، وهي أن المسلمين في المجتمع الإسلامي الواقعـي السالم يجـب أن يحسوا جميعـاً بالمسؤولية تجاه المشـاكل التي تعترض المجتمـع وتظهـر فيه، ولا يجب أن ينتظـروا الأغنياء والمتمكنيـن يقوموا وحدهم بحل هذه المشاكل والمصاعب، بل على الضعفاء أيضاً أن يساهموا بما يستطيعون، مهمـا صغر وقل ما يقدمونه، لأن الإسلام يتعلق بالجميع لا بفئة منهم، وعلى هذا، فعلـى الجميع أن يسعوا في حفظ الإسلام ولو ببـذل النفوس والدماء، ويعملوا بكل وجودهم من أجل حياته وصيانته . المهم أن كل فرد يجب أن يبذل ما يستطيع، ولا يلتفت إلى مقدار عطائه، فليس المعيار كثرة العطاء وقلته، بل الإحساس بالمسؤولية والإخلاص في العمل . ومن المناسب في هذا المقام أن نطالع حديثاً نقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث سُئل: أي الصدقة أفضل؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «جهد المقل».(١)

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٦ - ص ١٤٢

الفهرس